
بخيت آل طالع الزهراني

مقاربات في التجربة الإنسانية

الجسدُ الغامض

مؤسسة الانتشار العربي

بخيت آل طالع الزهراني

مقاربات في التجربة الإنسانية

الجسدُ الغامض





مقاربات في التجربة الإنسانية

الجسدُ الغامض

بخيت آل طالع الزهراني



النادي الأدبي في منطقة الباحة
المملكة العربية السعودية
www.adbialbaha.com



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-468-1

الطبعة الأولى 2013

المحتويات

نصوص أدبية

رُؤى وانطباعات

الإهداء

إلى التي لم تسقط من ذاكرتي.. يومًا.

لم تتوارَ عن عينيّ..

ولم تختبئ بين جبال السروات..

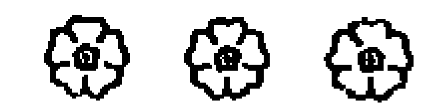
لم تسرقها شمس الأرض.. ولا قمر السماوات..

حملتني عنها ريحُ الدهر..

وطافت بي كل الطرقات..

لكن قلبي – لم يبرحها قط..

لم ينفطم عن ثدييها.. ولا بارح ظلَّ جدائلها.



أركضُ في كل الطرقات..

أتخطى بحرًا ومحيطًا وبحيرات..

لكني كالعصفور، حيث طارَ يتوقُ إلى عشه..

يحن إلى مرابعه الأولى..

حيث البئر، وحقل اللوز، وثمار التين الشوكي.

❀ ❀ ❀

إلى قريتي.. التي علمتني أول أبجديات الحياة..

أهدي... هذه الخواطر.

نصوص أدبية

ضحكاتٌ.. لحمامة الشطآن

(1)

في صحراء القحط والذبول والفراغ.. بدت مثل نخلة خضراء فارعة الطول.. تتحدى الجفاف والرمال واللفح الحارق.. تختال بضفائر العشق الهارب.. تتهادى فوق المدن الصامتة كموج قمري ساحر، ينساب هادئًا نحو الأعماق..

يخاطب الجذور.

ويعطر الأغصان اليابسة.

(2)

كل الطيور الحبيسة القابعة في أوكارها استيقظت على قرع أجراسها.. وراحت تستحم في ترعة النبع الأخضر.. أشعلت بخورها فانتشى المكان...

بالحلم..

والأقحوان..

وفرح الأعياد المنسية.

(3)

لؤلؤةٌ..

جاءت من زمن انحسار جواهر الطبيعة.. وبداية الركض المتلاحق وراء المساحيق.. وأدوات التزييف.. عاشقة خرجت من أعماق البحار، تحمل القناديل إلى الجزر المطفأة.. تكتب عناوين الموانئ الظامئة.. مثل نجمة تتراقص في أفئدة العاشقين والحيارى!.

(4)

حوريةٌ..

طبعت الحناء على أطراف أصابعها.. وراحت تردد مواويل البحر.. ثم نامت عند مصب النهر الهادئ.. وسمحت للفضوليين بتقليب صفحات دفاترها.. وتسجيل مقاطع الشعر الشفيف.. وعبارات الرثاء فوق وسادتها البيضاء في لحظة انفعال وتفاعل!.

(5)

الحاضرون تفرقوا.. وحمامة الشطآن تمرح فوق أمواج المحيط.. تنثر ملامحها.. وذكراها.. وضحكاتها...

على ضوء القمر..

خلف أشجان الصنوبر..

بين أيدي الصامتين..

(6)

هي نخلةٌ..

مهما اعتصرها الزمن..

تبقى جسرًا شامخًا يعلو على بقية الطرقات!.

مغامراتُ.. مركبٍ هرم

الليل والبحر.. وهذا المركب الأسطوري المدهش.
وأنا بين ذراعي الشاطئ المهجور..
أتأمل الصمت في جوف الليل..
ألمحه شبحًا يرقص فوق جسد الساحل..
لا شيء يكسر هذا الصمت المريع..
كل الأشياء فقدت قدرتها على الضجيج..
تحولت إلى قطع خرساء!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

كل الموانئ صامتة.. لم يتبدل حالها يومًا.. وأنا ما زلت ألهث وراء الضجيج..
أفتش عن موانئ ملتهبة..
تعزف الموسيقى بحرارة..
كم هو موحشٌ وقاسٍ مشهد الشواطئ وهي...
صامتة..

خرساء..

تحبس في أعماقها.. تحية الصباح!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

يا لهذا المركب المدهش..

كم من المسافات ذرعها..

كم من المساحات الموحشة «لفّها»..

شاخ الزمنُ ولم يشخ..

لا أعرف ـ يقينًا..

هل ضاق بي؟!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ما زلت أجوب به كل البحار..

أدفعه كل صباح نحو مغامرة مجهولة..

نحو تحدٍّ جديد مع المستحيل..

فوق منعطفات الزمن!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

رائع ذلك المركب..

رائع..

عندما همس في أذني ذات مساء موحش..

بأن:

الخطوة الصعبة..

تحتاج إلى قدرة... أ / صـ / ع / ب!.

سكونُ العتمةِ.. الغاضب

** تطول الليلة.. تتمدد فوق رمال الساحل المهجور.. وسكون العتمة الغاضب يملأ المكان.. يتحول إلى خنجر يماني ينغرس في خاصرة الأمواج.. ويلتف حولي كوحش أسطوري.. فيما تنتصب صخور الشاطئ..

أشباح مفزعة..

ترقص في جوف الليل..

** على ضفاف تلك الليلة الدكناء أوقفت مركبي السندبادي العتيق.. وبقيت أقتات وحدتي، مثل طائر تاه عن سربه المهاجر، وأمسى غريبًا تتخطفه الأوجاع.. ويلفه التيه.

** عبثًا أفتش عن قنديلي الذي أضعته.. أراه في كل مرة عند حافة الأفق.. ألمحه يضيء..

ثم.... يضمحل.... مثل سراب خادع، يوهمني بأشياء كثيرة.. لكنه يتوارى مستهزئًا..

** أمواج تلك الليلة هامدة.. غارقة في إغفاءة عميقة، كأنما تستريح من ركضها المدهش..

هناك لمحت نخلة هرمة تتكئ على آخر جذر لها.. على جيدها الغجري الفارع ندوب الزمن..

وأخاديد السنين..

وشيء من نضارة الأمس ما زال يطفو فوق ثغرها الأقحواني.

** رأيتها تتحدى الوجع أمام المدينة البلهاء.. ترفض اليأس.. تقاتل من أجل أن تموت واقفة..

** اقتربت منها وسط بحر الظلام، وددت...

لو صافحتها..

لو نثرت الفُلّ فوق أطراف شعرها المسافر..

ورغبة هتفت في أعماقي أن أصرخ باسمها.. قد أبدد وحشة الظلام..

وأهزم جانبًا من أشباحه المفزعة..

** تشدني نظراتها الهاربة عن الأرض.. تبدو محلقة مع القمر مثل قصيدة فارهة..

وهذا رجلٌ بدائي، في داخله حقدٌ مجنون، طفق يمسك بعنقها.. يريدُ اجتثاثها من قعرها..

لم يشفع لها أنها صبيةٌ حسناء.

** كان يريد أن يصنع منها مأساة جديدة.. لكنها دحرته.. ثم قذفت به إلى أسماك القرش الجائعة..

وأقفلت الستارة على..

مسرحيةٍ مرعبة..

** كم هي رائعةٌ تلك الغجريةُ المنتصبة على الساحل.. إنها أجمل امرأة على الشاطئ.. كل النساء من حولها

دميمات..

ومرتجفات..

وباردات..

أما هي فقد ظهرت فاتنةً.. واثقةً.. ودافئة.

** رائحةُ العطرِ الطافر من عنقها الفضي يمزقُ وحدة الليل.. ويروي ظمأي. .

إنه ينسابُ هادئًا فوق رمال الساحل الصامت..

ويحيله إلى ربيع..
يرقصُ فوق ملامحي!.

** في عينيها الصامتتين قرأتُ
حكايتي..
وحكايةَ.. ليل الشاطئ المُريع!.

حباتُ البردِ..
المتراقصة

(أ)

تساؤلاتٌ كثيرةٌ تعتملُ في داخلي.. تبحرُ فوق أمواج الذاكرة وتلامس الذات..

تتمحور حينًا في صيغة استفهام واحد..

وتتناثر حينًا آخر لتشكل آلاف الاستفهامات

المبعثرة..

والغامضة..

والهاربة وراء خيوط الإجابات التائهة..

(ب)

ويبقى لكل استفهام حيثياته، ومناخه، ودوافعه التي كثيرًا ما تأخذ صفة الإلحاح، والعناد على الارتسام طويلًا داخل دائرة البصر، بحثًا عن..

ثقبٍ صغير..

في جدار الإجابات الصلب!.

(ج)

من أجل هذا، وبسببه.. تتملّكني حالة من القرف الشديد تجاه كل أدوات الاستفهام، التي أعرفها بدءًا...

بـ «لماذا».. ومرورًا بـ «كيف.. وأين.. وهل.. وما»...

وأخيرًا بهذه الأداة التي تدهشني..

وترهقني كثيرًا.... «متى»!.

(د)

وتحتَ عباءة هذا الليل الأدكن، أحاولُ عبثًا دفن استفهاماتي المنهمرة، كحبات بردٍ تتراقصُ فوق جبالٍ صخريةٍ موحشة..

أتجرعها بضيقٍ كل مساء..

وأنا أتفرّس ـ وحيدًا ـ في مقاطع شاعرية من وجه قمر مدينتنا الخجول..

وتهرولُ في داخلي شلالاتٌ من الأحلام العابقة، تلك المُحملة بنسائم ذكريات الطفولة البيضاء!.

(هـ)

وتمضي عجلة الزمن....

تمضي في خطوها اللاهث، فوق طرقات العمر المجهول.. فيما أثقالٌ من آلاف التساؤلات..

تمنع انعتاقها من ربق سياجها المنصوب حتى النخاع..

تحجبُ خيوط الفجر المتحفز، من التهام فلول مساحاتها المعتمة.. وتلجم منافذ العبور إلى ردهات البوح الزاخر..

بالعفوية..

والصدق..

والملامسة!.

كُراتٌ متطايرة

** عندما يُطلُّ المساء القرمزي بقامته المشرقة، تتفجر العتمة أضواءً تسهر مع الليل في كل مكان.. وتبقى شمس البحر نغمًا يرفضُ داخل أحداق المساء. .

تظل عنوانًا للإبحار نحو الأفق البعيد.. نحو العينين المتلألئتين بالألق الآسر!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

** يقولون «صاحب الحق قوي».. ولكن هذا لا يكفي.. إذ لا بد لهذا القوي أن يشرع في الخطوة الأولى على طريق الحق، ما دام مليئًا بالإيمان..

وعامرًا بالنيات!.

إن لبلوغ الحق قنوات واضحة، معلومة، ومستقيمة.. بعيدًا عن الأحلام والأماني والخطوط الهندسية المنحنية!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

** «عبد الرحمن الأبنودي» اسمٌ لمع منذ أوائل الستينيات.. ومنذ بدأ... وهو يستقطبُ الأنظار..

النقّادُ، الشعراء، والقراء أجمعوا على شاعريته ونضجه وتوهجه.. قالوا حينذاك إن شاعرًا جديدًا وجيدًا سيملأ المساحة التي تركها بيرم التونسي..

استطاع الأبنودي ابن قرية «أبنود» إحدى قرى صعيد مصر أن يشق طريقه إلى الإبداع والنجومية.. وأن يصل إلى مرتبة متقدمة في عداد الشعراء الجادين.

واستطاع بـ «شعر العامية» ذاك أن يجذب الكثيرين من حوله، ومن كل الفئات، بفضل معالجاته الشعرية التي بناها باللهجة الشعبية، وضمن قوالب بسيطة وسلسة، تحكي مشاعر عامل بسيط، يصور أحاسيس قطاع عريض من الناس.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

** رائعون.. هم أولئك الذين يرضون برمق بسيط من الحياة، من أجل أن تظل..

أرواحهم نظيفة..

وهاماتهم شامخة..

تعانق السحب في عليائها.. تسمو فوق كل الرخائص.. أولئك دائمًا تزين رؤوسهم أكاليل الفوز.. وتلفهم أناشيد المجد والفخار.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

** ليس أكثر إحباطًا عندما يعود أحدنا إلى قريته بعد طول غياب في المدينة.. ويجدها قد غسلت يدها من كل الصور الريفية التقليدية.. وارتمت في أحضان المدنية الملوثة..

هذا العقوق المفزع.. يولدُ في الخاطر جملة من الآلام، والانكسارات، والأسى..

فلا الملامح هي الملامح..

ولا المعاني هي المعاني..

ولا التقاليد هي التقاليد..

** كل شيء تبدل وأصبح رأسًا على عقب.. مشاهد الناس وهم يعودون كل مساء متوشحين بطين الحقل، ومحصول الأرض الطيبة، تحول إلى ذكرى، وقصص أشبه بالأساطير..

حتى رعي الغنم، وسقيا الشجر والنبات.. أصبحا أوراقًا مطوية في دفاتر الماضي..

أثمة شيء مفزع.. أكثر من هذا؟!.

ذكرياتٌ حبيسة

(1)

كثيرون هم أولئك الذين يبحرون بمراكبهم فوق أمواج الشوق.. يجوبون كل البحار من أجل الإمساك بأطراف..

الموانئ الدافئة..

والجزائر المختبئة.. في جدائل الصمت.

(2)

الحياةُ عند أولئك ترحالٌ دائم، داخل أعماق المعاناة السحيقة، هي عزفٌ منفردٌ فوق رموش المنعطفات الحادة.. هي أيضًا نداءات إنسانية معبرة، كتلك التي تنبعثُ حانية عند حافة نهرٍ صغيرٍ، يرقدُ في أحضان ليلةٍ قمرية. .

(3)

الأعراسُ فوق مراكب أولئك.. ومضاتٌ خافتةٌ تتلامعُ في الأفق، كأضواء باهتة، لشارع فرعي في ساعات انعدام الحركة.. وتوقف النبض فوق أرصفته الشاحبة.

(4)

الشموعُ عند أولئك ليست كالشموع التي نعرفها.. ولا كالتي ألفناها.. إنها...

ذكرياتٌ حبيسة..

ولوحاتٌ معتمة..

وأدوات معطلة..

فقدت دورها وحيويتها وألقها، انتظارًا لنزوح أثقال موسم خريفي موحش، وحلول بيارق ربيعٍ أخضر ينساب هادئًا..

بثغره المتوهج بريقًا..

وبقامته.. المنقوشة قصائد حبٍّ متجدد..

نَصْلُ الغربة

في دفاترنا القديمة ألف قصيدةٍ وقصيدة.. خليط من المشاعر.. والحكايات.. والروي..

فرح وردي حالم..

كذلك الذي ينساب هادئًا يَعمرُ طرقات عُشاق المساء..

وحكايات حزنٍ متجهمة الملامح..

غريبة القسمات..

كوحش أسطوري، جاء توًا من أعماق الغابة المجهولة!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

كل الشواطئ البيضاء صارت كالدجى الحالك.. وعرائسُ البحر تمرّغُ أطرافها الناعمة فوق حباتِ الرملِ اللاهب.. تسبحُ وراء

تيار النور الهارب..

وألوانُ الليل الدكناء..

والأغصانُ الصغيرة تطلٌّ برأسها نحو..

نسيم البحر الغاضب..

وصوب خيوط القمر الخجول، المتواري وراء سحب ليل الشتاء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ضجيجُ المدينة يلوثُ سكون الليل الحالم، يسرقُ فرحه الأمان.. والدفء. .

يزيد اللحظة غموضًا..

ورهبة..

ويقطعُ حوار الشواطئ المزدهرة.. فيكسرُ صدى الآهات المحملة بالشوق..

والرياحين..

وسنواتِ الانتظار..

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المسافرون على دروب المدينة الصاخبة، ينعسون من ألم التجوال فوق الأبعاد التائهة.. ينثرون مرارة الزمن فوق أرصفة الحياة.. وتحت أعمدة الإضاءة الخافتة..

يفتشون عن محطات الظل..

وأكواخ الدفء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وتبقى اللحظة مرتعشةً على حافة السقوط في وهاد وديان الغربة.. إحساس بالشقاء في ساعة الهمس

لم ينبثق..

احتضر في مرقد الولادة..

ودقت أجراسُ الصمت عند فوهات الحدائق الربيعية، حيث الانتظار مع المجهول المسافر دومًا فوق مسافات الحيرة..

والأفق المتواري.. عند حافة البصر.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ويرحلُ ليلُ الدهشة، وخاصرة الحب الوردي تلعق نصل الغربة، والانتظار.. فوق جبال الملح..

ويظل الصمت يطوف أطراف الذكرى المطوية في دفاتر الوجدان..

يعانقها كعاشق..

جاء يحملُ فوق راحتيه.. وردة الصباح.

صباحاتُ السفرِ .

نحو «اللاشيء»

** شمسُ يومٍ جديد.. تطلُّ بثغرها الضاحك من تحت «عباءة» المساءِ الأدكن.

تتقدم ـ خطوات واثقة ـ في الفضاء الرحب.. تنشر «ثيابها الفضفاضة» عبر الحقول، والسهول، وقمم الجبال، والشوارع المزروعة بالبنايات والناس.

** صباحٌ جديد ينتزعُ الناس من مرقدهم.. من أعماق الدفء.. يقودهم إلى «مطابخ العمل».. إلى حجرات التعليم........ الخ!!.

فيما آخرون يقودهم ذلك الصباحُ الجديد.. إلى «لا شيء»

إلى «مجهول» ممتد الحلقات..

إلى «أتون» من عذابات البحث عن مكانٍ ما.. مكان يليق بوجود الواحد منهم كإنسان.. مكان يعترفُ بقيمته كبشر!.

** هذا الصنف الأخير من البشر يقف ـ دون الآخرين ـ على هامش الوجود.

صحيحٌ أن الواحد منهم يأكلُ.. ويشربُ.. ويتكلم ويتحركُ كغيره من الآدميين.

لكنه يعتبرُ «رقمًا ضائعًا».

ووجودًا متلاشيًا..

وعبئًا ثقيلًا على «الأرصفة».

** هل رأيتم أولئك «الغرباء» وسط عالمٍ يمورُ بالحركة، يستطيع أن يضمهم تحت جناحه.. ولكنهم لم يلتحقوا بقوافله.. ولم يتعلقوا بعجلاته الراكضة.

الحياةُ تتحركُ من أمامهم.. وهم واقفون.

الكلُّ يركض.. يمشي.. يلهث.. فيما أولئك «مقيدون» بحبال الأرصفة.

إنهم «ثروةٌ ضائعة».. وخامات معطلة.. تجاسرت عليهم «الظروف».. ولفظتهم دورة الحياة.. فتحولوا إلى «أشباح» تزرع جنبات الشوارع!

** تلمحهم من بعيد، فتعتقد للوهلة الأولى أنهم وحوش.. أشرار.

لكن ما إن تدلف إلى أعماقهم حتى تجدهم أكثر مما تتوقع.. وغير ما تظن.

إنهم أكثرُ وداعة.. وأكثرُ ألفة.. وأكثرُ شفافية من غيرهم.. لقد هزمهم تيارُ الحياة الذي لا يرحم.

هم بحاجةٍ إلى من يستمع إليهم.. أكثر مما يُسمعهم.

إنهم يحتاجون إلى من يقاسمهم متاعبهم أولًا.. ثم يبسُط لهم «يدَ المحبة».. فيقودهم إلى مكان أكثر «حضارية» من الرصيف.

** أولئك هم النتيجة الطبيعية للإفرازات المتلاحقة لهذا العصر.

إنك تجدهم في كلّ مكان.. وفي أي مجتمع.. فوق هذا الكوكب.

لكن الأمر - غير الطبيعي - أن يظل أولئك نهبًا للضياع.. للشتات.. للانزلاق في مهاوي التيه.

الخطر.. أن تظلَّ مؤسساتُ المجتمع المسؤولة - أي مجتمع - بعيدة عن أولئك.

وأن تظلَّ النظرةُ إليهم تتمحور في: أنهم مجرد «شيءٍ طارئ»..

في أنهم مجردُ «عيالٍ».. وغدًا سيكبرون.

في أنهم سيجدون في منعطفات الزمن ـ درسًا يتعلمون منه.

** إن خطوة واحدة ـ مدروسة وواعية ـ إلى أولئك ستثمر عندهم خطوتين، يتقدمون بها إلى آفاق...... «الأفضل».

اغتيالُ نخلة

* لا شيء يغيظني أكثر من رؤية نخلة تلفظ أنفاسها الأخيرة.. ولهذا فإنني أعتقد أن موت نخلة ما، لا يساويه مأساة غير إجهاض قصيدة كانت هاجسًا جميلًا في أعماق شاعر عظيم.

* وموت النخلة - أي نخلة - لا يعني قطع رقبتها.. ولكنه يكون أيضًا بقطع..

شرايين الحفاوة..

والمحبة..

والوفاء عنها.

* منذ زمن كنت أحسب أن النخلة مجرد شجرة تعطينا..

البلح..

والرطب..

والتمر..

والسعف..

والألياف..

ولم أكن أعلم أن للنخلة خِلالًا أخرى جميلة.. لم أكن أفهم أن لها مشاعر صادقة تنطلق من أعماق ملأى بالبراءة.. والحب والوفاء.

* كنت أعتقد أنها شجرة كسائر الشجر نتفيأ ظلالها.. ونأكل ثمرها.. وليس علينا إثمٌ إن نحن..

ألغينا حبها..

وأبعدناها خارج دائرة اهتمامنا..

* ولم أكن أعلم أن في ملامحها النقية..

وقامتها الممشوقة..

وجدائل شعرها الأدكن ألف محطة ـ ومحطة.. نستريح فيها في خضم سعينا اللاهث عبر دروب الزمن القاسي.

* ولأنها تعطينا الكثير

ولا نقدم لها غير القليل..

ولأنها كريمة..

ونحن بخلاء..

ولأنها تتعامل بخصلة الوفاء..

مقابل الكثير من حالات النكران والجحود..

فإنه يصح للنخلة أن تتقدم برفع قضية أمام كل المحاكم العالمية، تطالب فيها بتجريد فئة..

الناكرين..

والجاحدين..

من... إنسانيتهم!.

أعراسُ الجبال

** عندما تصبح النخلة أطول النخلات..

والقصيدة أجمل القصائد..

والخطوة أروع الخطوات..

تتحول اللحظة ـ حينذاك ـ إلى حالة خاصة جدًا، خارج دوائر الزمن المألوف.

** إن الأشياء الخرافية.. والأحداث الأسطورية.. لا يصنعها أي أحد، وفي أي زمن.. ولهذا فإن النخلة الذاهبة إلى السماء ليست كغيرها من النخيل الذي يراوح عند مستوى ارتفاع محدود.. وكذلك القصيدة المشتعلة كشمس أفريقيا، لا مجال لمقارنتها بتلك المحملة بصقيع سيبيريا.. والخطوة الملأى بالثقة ليست كالخطوات القلقة أو المرتجفة..

** المسألة إذن مسألة تميز وقدرة على زرع الدهشة.. وأمام هذه الحالة، يصبح لا فرق..

بين الرجل أو المرأة..

بين الطفل أو الشيخ..

بين من يسكن أكبر المدن أو أبعد الأرياف..

ويظل الفرق في أن تكون أو لا تكون.. في أن تكون إنسانًا يؤثر ويتأثر.. يتحرك في ملعب الحياة حسب مقتضيات اللعب.. لا أن ينام عند خطوط التماس!.

** ولأن التميز حالة خاصة فإنه يحتاج إلى إنسان خاص.. إلى فارس أسطوري.. يكون قادرًا على امتطاء صهوة التميز.. والدخول في المسابقات الطويلة التي تحتاج إلى جهد أكبر، ونفس أطول..

** إن الذين يرضونَ من الغنيمة بالإياب، يقفون موقف العداء أمام حالات التميز، ومشاوير السفر فوق السحب الممطرة.. بحيث يصابون بحالة اغتراب أمام قوس قزح.

هم ـ بالتأكيد ـ لا يعرفون مظاهر الأعراس، التي تقيمها الجبال والوديان والمروج احتفاء بموسم الأمطار.

** أمام الغيمة الدكناء..

والقصيدة المتوهجة..

والنخلة الطويلة المثمرة..

لا تملك إلا أن تصفق طويلًا.. وتطمئن إلى أن حالة المواليد ستكون ملأى بـ.. «كالسيوم العظام»!.

قصتي..
مع الجسد الغامض

عندما رأيتها لأول مرة تتوشح فستانها الزاهي المبهرج، كأميرة غجرية تنثر جدائلها تحت ضوء القمر..

شدّتني ملامحها..

وهالني مشهدها..

فقد بدت عروسًا فاتنة، كأنما تعيش شهر العسل.. تفيض بريقًا.. وتشع ضياءً.. كأنما أخذت حيويتها وإشراقها من منابع الشمس..

سمعت عنها من قبل ولكنني لم أرها إلا هذه المرة.. إنها أكثر وأكبر من وصفهم لها.. عيناها بريق ملتهب كمعبد يعبق بالبخور.. وعلى وجهها مساحيق ملونة.. وأضواء نيون صاخبة!.

لم أكن أعرف أن تحت تلك الملابس البراقة.. والصور المتداخلة جسدًا غامضًا يحمل الحقيقة المرة.. بكل عقدها.. وتشوهاتها.. وقسوتها.. وعنفها!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

كنت أظنها حِضنًا دافئًا، حنونًا.. يستريح الغرباء أمثالي في ثناياه.. ويأوي إليه الهاربون من الوحدة والتشرد.. لم أحسب أن خُصل شعرها المسافر في كل الميادين والشوارع (أخطبوطًا) يمكن أن يلتف حول عنقي.

ظننتها مسالمة، هادئة بسيطة، وصريحة، كما هي قريتي التي غادرتها بالأمس.. وفقدت برحيلي عنها صُور الحب الحقيقي، صُور التعاطف العفوي.. ومشاعر المساواة والتقارب المادي بين أهلها.

صفعتني الصدمة.. وطغى الحزن على ملامحي.. تسمرت في موقعي كعمود إضاءة أخرس.. وثبت لي أنني صرت أسيرًا لبراثن الألم.. وأنني أصبحت رقمًا جديدًا في قائمة المستسلمين لوهجها.. وأضوائها.. وتناقضاتها.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

كم كانت صدمتي كبيرة عندما عرفت بأن الزحام.. والتدافع على الأرصفة جريًا وراء رغيف الخبز هو منهجها.. لقد راعني ما يجري داخلها ومن حولها، من سباق محموم لا يقف عند حد، يزاحم فيه الأخ أخاه.. يدفعه ليتقدمه دون أن يأبه له.. أو حتى يلقي عليه نظرة اعتذار.. الكل هنا لا يهمه إلا نفسه.. ونفسه وحدها!.. جيوب منتفخة بالمال تكاد تتفزر.. وأخرى ضامرة خنقت

«العبرة» حناجر أصحابها، وارتسم الانكسار فوق وجوههم.. وهم يرددون: (لله ـ يا محسنين).

لأول مرة وجدت نفسي ضعيفًا أمام قبضتها، وقوة أهلها الذين يحركونها كما يشاءون.. ويشكلونها كما يروقهم.

رأيت نفسي أمام حمل ثقيل ينبغي مجابهته بكل عزم.. ولا بد أن أسرع الخطى لتخفيفه حتى أتماهى مع الواقع الجديد.. يجب أن أتخلص من حياة الهدوء البطيئة التي اعتدتها، وأن أحسب الزمن بالدقائق والثواني.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

تساؤلات كثيرة بدت تتراقص أمامي حائرة كسراب واهم..

هل صار قدري أن أتحول إلى حبة رمل صغيرة في صحاريها الواسعة، أزاحم حبات رملها.. أعطش للماء مثلها.. أحترق بلظى شمسها.. وأعيش الجفاف.. والملل.. والرتابة؟.

هل أصبح طريق النجاة من وحدتي وغربتي، في الهروب إلى مقاهيها الصاخبة، ومشاركة الجالسين في تحلقهم حول جهاز التلفاز.. أو أن أتنحى جانبًا مع البعض

الآخر في زاوية المقهى ألهو بأوراق اللعب معهم حتى يتعبنا السهر، فيودع كل منا صاحبه ليلقاه مساء الغد في جلسة مكررة.. رتيبة؟.

مضيت في غربتي وحيدًا، مندهشًا.. أذرع أرصفة الجسد الغامض صامتًا.. مبحلقًا.. فزعًا مما يجري حولي.. أتأمل صوره المتناقضة.. والقاسية.. والمزيفة.. فهذه عجلات سوداء مجنونة تفترس طفلًا في عمر الزهور، كان حتى آخر لحظة بهجة والديه وأهله.. ووسط حشد (المتفرجين) تأتي السيارة البيضاء لتحمله ثم تطلق صيحة تقتلع القلوب، وتملأ الشوارع المكتظة رعبًا، دون أن يبكي المتجمهرون الفقيد.. أو يشيعوه.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وهؤلاء مجموعة من الحسناوات الناعمات البارعات في تصدير الضحكات المزيفة.. يقبلن يتمايلن كأغصان البان يلهثن وراء الألوان، والمساحيق، وصفحات الموضة.. يفتحن قلوبهن لأوراق البنكنوت، ودفاتر الشيكات، ويقفلنها أمام الشواطئ الدافئة والعواطف المتدفقة، ونغمات الحب الأبيض..

وفي الجانب الآخر شبان يقبعون خلف زجاج عرباتهم كالقطط، يحلمون بإشراقة حب صادق.. فيما أكل

السراب فراغهم.. وبعثرت الأضواء تفكيرهم.. وامتلأت أجوافهم بالملل.. فبدأوا (يتنفسون) على طريقتهم.

داخل هذا الجسد المتناقض أصبح القمر منسيًا.. ضائعًا.. لم تعد النظرات تتأمله.. لا أحد ينظر إلى الأعلى.. الجميع مطأطئ الرأس.. غارق في بحار همومه.

والبائسون، والضعفاء نائمون على الأرصفة يتوسدون أذرعهم، وتمر بجانبهم الأقدام مسرعة دون أن تأبه لأجسادهم الذابلة تحت ملابسهم البالية.

وهكذا.. دارت وتدور عجلة الزمن.. ويبقى التناقض ينمو وسط ذلك الجسد المبهم.. وتظل كل محاولة لفهمه.. وسبر أغواره كالتجديف وسط محيط أسطوري.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

المأساة المروعة.. أن عِلّة ذلك الجسد الموبوء ليست في أضوائه المؤذية.. وزخارفه المزيفة.. وصخبه الهادر.. وإنما في فقدانه للحس الروحي.. والإنساني.. وعدم قدرته على تذوق الطعم (الحقيقي) للحياة، بعد أن طغى الهمّ المادي على كل ما عداه.. وتحول ساكنوه إلى فرائس..

لـ «الضغط.. و السكر.. والقلب».

نحو مرافئ تعجُّ بالحياة

** صباح آخر يسيل على الأرض.. ينبثق من خاصرة ليلنا الطويل «المشحون بالكآبة».. نحاول إزاءه الإمساك بـ «شيء جميل».. ترتعش أصابعنا.. تتجمد.. ثم نلوذ بصمت غريب!.

فجأة.. تتداعى الذكريات في جماجمنا.. فالنهارات السابقة مازالت أشباحًا «تتراقص» في دهاليز قلوبنا.

نتلفت حولنا مرة ومرة.. فإذا عصافير الحقل منكفئة.. ما عادت تترنم بـ «أناشيد الصباح».

لقد بلغنا ـ جميعًا ـ فضاءً رحبًا.. مثخنًا بوجبات جديدة من فظائع العصر.. من الفرقة.. والتشرذم.. وركام الأجساد المذبوحة كالخراف!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

تصطدم ملامحنا بـ «روزنامة» التقويم.. ها هو يوم آخر يسقط من أعمارنا.. من أيامنا المسافرة نحو «الهاوية».. أو الصاعدة إلى فوّهات «البراكين».. لا فرق!.

نتسلق شجرة «الصبر» غُصنًا غُصنًا.. ونصرخ.. ثم نسقط على رجع الصدى القادم من جدران المأساة.

ما زال (مهندسو مذابحنا) غارقين في نشوة أحلامهم.. تلك الأحلام التي قامت أساسًا بمؤازرتنا، عندما أتحنا لها مساحة أكبر من الزمن لتتكاثر، وتتوالد فوق أجسادنا..

ما زالوا يرسمون وجوهنا.. ويحددون مواقع خطواتنا.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وحدنا في هذا العالم نصمت.. ونصرخ.. ثم نصمت..

وحدنا في هذا العالم نملك..

ألف عين..

وألف قلب..

وألف رأي..

وحدنا ننتظر القطار القادم..

وعندما يجيء نختلف على لونه.. على شكل

مقاعده.. على عدد عرباته.. وبدلًا من أن نفتح أبوابه.. وندلف إلى جوفه، يفتح بعضنا ـ جباه بعض!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وبالرغم من كل ذلك.. علينا ألا نكفّ عن الأمل!.

ينبغي ألّا نسافر ألف عالم آخر في سموات عذابنا.. ويأسنا.. وآلامنا. .

علينا أن نستمرئ طعم الموت.. أن نجعله وجبة يومية تفتح لنا أفقًا آخر للعبور إلى حياة أخرى.. حياة أفضل.

علينا أن ننظر إلى أعدائنا بعين مجردة من ضبابية الوجل.... ومن تضخيم الآخر.. ومن التقهقر عن المواجهة.. حينذاك..

سنراهم في حالة مختلفة..

سنجدهم في صورة أخرى..

سنتأكد أنهم أناس عاديون..

سنجدهم مألوفين أكثر مما نتوقع..

سنُفاجأ بأنهم قابلون للانكسار، والهزيمة في نهاية المطاف!.

في وسعنا أن نقشع عن صباحاتنا كل الملامح المكفهرّة.. والمشاهد القاتلة.. وأن نحولها إلى مرافئ بهيجة، تعجُّ بسنابل الحياة.. بضحكات الأطفال، بابتسامات الثكالى.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

يبقى أن نتساءل:

هل لنا بمزيد من الألم لنحيا؟.

هل لنا بمزيد من الصبر لنطوّع هذا (الزمن / المارد)؟.

وهل لنا بمزيد من الثقة لنرسم مواقع خطواتنا ـ بأيدينا؟!.

رُؤى وانطباعات

رقصاتُ العصافير

** لا شيء في هذا العالم المشحون بالاكتئاب.. الحافل بسيل الإحباط يبعث على التفاؤل، والطمأنينة أكثر من ابتسامات الأطفال.. تلك البسمات..

المترعة بالبراءة..

والزاخرة بالصدق..

والمُحمّلة بالتعابير العفوية.. القادمة من أعماقهم البيضاء.

** ليت هذا العالم من أقصاه إلى أدناه أطفال صغار، يملؤون كوكبنا الأرضي بهجة، وسعادة..

يزرعونه أملًا..

وضحكات صادقة، بدلًا من موجة العنف، والأحقاد، والاغتيالات.. والأنانية المطلقة.

** ليتنا - أقلّه - نتعلم من أولئك الصغار معاني الحب.. والبراءة.. والصدق.. خلافًا لما هو عليه حالنا

اليوم من ركض متواصل وراء الأقنعة الملونة.. وتقمص الأدوار التمثيلية المدهشة فوق مسرح الحياة، في مشاهد (دراماتيكية) محبوكة.

** من يقدر في هذا العالم - مهما كان حريصًا - على الإمساك بأطراف المثالية.. وأن يحاكي أولئك الأبرياء الصغار في تصويرهم للحياة وفي نظراتهم وأحلامهم.. من يستطيع أن يقارع أولئك العصافير البهيّة في..

تعاملهم وسلوكهم.. في حبهم وصدقهم؟.

** من في مقدوره أن يبوح بكل ما في صدره مثلهم؟.. من لديه القدرة على العفوية المتميزة مثلهم؟.. من عنده الاستعداد للسؤال عن أي شيء.. وكل شيء.. كما يفعلون؟.

** يبدو أن عالمنا اليوم أكثر ما يحتاج إلى دروس خصوصية، يتعلم فيها ومن خلالها من أطفاله.. يتأملهم.. يرقب كل كلامهم، وتحركاتهم.. وأسلوب تعاملهم اليومي..

أقلُّه كان سيعرف أنهم في أمور كثيرة.. عقلاء!.

** نقول عقلاء.. عندما نراهم يتصرفون في حدود

عدم الإضرار بمشاعر الآخرين.. ودونما الإصرار على إقامة الجدران المسدودة أمام غيرهم.. لجهة أن بذور الحقد.. والأنانية.. والخيلاء.. ما زالت غريبة عن تراب حدائقهم الخضراء، تلك العامرة..

بألحان البلابل..

وشذا الورد والرياحين!.

خارطةُ طريق

* ماذا يعني غياب شاعر.. أو ناقد.. أو فنان.. أو كاتب؟.

إنه يعني في الأقل القليل سقوط واحدٍ من أعمدة الفكر، التي كنا بحاجة إلى أن تسند سقف التفاعلات الثقافية فيه..

* ثم ماذا تعني ـ في المقابل ـ ولادة مثقف جديد؟.. وأقصد بالولادة هنا إطلالة نجم جديد في سماء المعرفة الإنسانية، بكل تفرعاتها ومناحيها..

إنها تعني قدوم إضاءة جديدة للدرب الطويل..

* والإطلالة هنا ـ طبقًا للمقاييس الإبداعية ـ لا تلمع فجأة.. وإنما يسبق ذلك اللمعان ـ المصحوب بالتوهج الإبداعي ـ جملة من الإرهاصات، التي تأخذ حيزًا من مساحة الزمان والمكان، حتى يشتد عودها، وينضج ثمرها..

* محليًا.. كل المؤشرات تؤكد أن الانتشار الأفقي لمجمل التفاعلات الثقافية في مجتمعنا بدأ يسجل مدًا واسعًا، ومع هذا المد ومن خلاله يظل طبيعيًا أن تتباين «النوعية» بين كل أولئك.. وفي كل الأحوال يظل ذلك التباين «ضرورة» لتأسيس أرضية.. أو جزء من أرضية الانتقال إلى مراحل تالية، وهي مرحلة الفرز والانطلاقة، وتبلور الشخصية..

* المشتغلون بالإبداع عمومًا.. ومن تشغلهم قضايا الثقافة الآن وإن بدوا كُثرًا إلا أن مقتضيات المرحلة ـ مرحلة بناء الأرضية الثقافية ـ تحتاج إلى آخرين.. لجهة أن الحاجة ليست دائمًا إلى كوكبة من المبدعين فقط..

* المناخ الثقافي في حقيقته يحتاج إلى آخرين، وأولئك الآخرون ليسوا سوى..

حشود الجمهور..

مجموعات المتذوقين..

قطاع عريض من عشاق الإبداع..

المفتونين بفضائه الجميل..

* أولئك ليسوا أقل وزنًا ولا قدرًا من شخصية

المبدع نفسه، وساحة الفكر بالتأكيد تحتاج إليهم بالضرورة، وإلا صار المبدع يتحدث إلى نفسه، وينتج فكرًا لذاته.

وعندئذ ستضيق الدائرة حتى تتلاشى تمامًا.

* وهنا يثور سؤال عفوي منطقي..

لماذا لا يحتشد الناس على موائد التجمعات الفكرية؟.

أظن أن ثمة خللًا كبيرًا، خللًا في المبدع نفسه.. وخصوصًا ذاك الذي عجز عن الوصول إلى الناس، وفشل في إقناعهم بـ «بضاعته».. وبالتالي فهو لن يصقل فكرهم، ولن يرتقي بذائقتهم، ولن يسحرهم ببيانه وإبداعه وفنه.

وثمة في المقابل خللٌ أيضًا في الناس، حيث انصرفوا في عدد ليس قليل منهم إلى الفتات وتركوا السمين، جلسوا القرفصاء، وانغلقوا على ذواتهم ولم يفتحوا شبابيكهم للشمس والحياة.

* ساحة الفكر والثقافة والإبداع تحتاج ـ بالضرورة ـ إلى حشد من الفاعلين والمتفاعلين والمنفعلين معًا.

تحتاج إلى مبدعين يتنفسون «الدهشة»..

وإلى جمهور لا يكترث لوعثاء السفر من أجل «الأوكسجين»..

وهذا ـ في ظني ـ هو «خارطة الطريق» التي ربما تكون الأجدى والأقرب نحو..

خلق مناخ من التفاعل الفكري الخلاق، الذي يسافر بالمجتمع إلى سماوات من الدهشة والإبهار والتغيير..

تصديرُ «القرف» الخام

أنت تعاني «القرف»..

إذن لا تكتئب؟!

حاول أن تبتسم.. ولو ابتسامة «صفراء»!

إن معك في «منعطفات» الحياة آخرين.

القرف «درجات».. و«ألوان».. و «أنواع».

بعضه «أصلي»..

وقسم منه «تقليد».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وفي كل الأحوال «الدمغة» واحدة.. وشاملة.. تمامًا مثل البضاعة الآسيوية الاستهلاكية التي تغص بها دكاكيننا وأرصفتنا.

هناك قرف «منزلي».. و «اجتماعي».. و«وظيفي».

الأخير مدهش.. و«مفيد» في الوقت نفسه لأعصاب البعض.

لأولئك الذين يعانون داء «ارتخاء» الأعصاب المزمن.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

الموظفون «الثقلاء».. «لا» يسببون لك القرف؟!.

والسبب «وجيه».. ومقنع.

لأنهم «القرف» بشحمه.. ولحمه.

العلماء والأطباء والمنهمكون في البحث بكبريات المختبرات العالمية مدعوون إلى «ابتكار» عقار جديد.. لا يقضي على القرف.. ولكن على مسببي القرف.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

هناك سؤال اعتراضي.. وربما هو «حشري»:

هل الغرب صار يُصدّر للشرق «دواء» القرف؟.

وهل صار الشرق يقايضه بشحنات من القرف «الخام»؟.

صفقة قد لا تكون متوازنة.. لكن الثابت أنها «مدوية».

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

أتمنى أن تتحقق «أمنيتي»..

بأن أقابل «ثلاثة» موظفين دفعة واحدة، دون أن يعاودني هذا «الداء»!

هل تتمنون مثلي؟... ربما!.

اعتسافُ الذائقة

(1)

في حالات معينة تكون الكتابة «منتجعًا» يسافر إليه الكاتب هربًا من..

صخب الحياة..

وجحيم زحمتها..

ووجع مللها!

وفي حالات قريبة من ذلك، يكون اللجوء إلى الكتابة أشبه ما يكون بالتوقف في «محطة» استراحة فارهة على طريق طويل، مشحون بالملل، والمشقة، والوعثاء.

(2)

وأظن أن الكتابة من هذا النوع تأتي استجابة لميل داخلي.. تتوافر له كل مقومات الشهية العارمة.. والرغبة الصادقة في الإمساك بعنق فكرة إبداعية ما..

وكثيرًا ما يكون الانفراد بالذات باعثًا لقيام مثل هذه

الحالة.. خصوصًا عندما تبدأ خيوط الذكريات تتوارد في سياق عفوي بسيط. عندئذ تصبح الكتابة تسجيلًا معبرًا.. ورسمًا دقيقًا لـ «سيناريو» درامي متميز.. تتداخل صوره وملامحه وسط «استديو» الذات الداخلية!.

(3)

وغالبًا ما تلازم أصحاب هذه الحالة روح التحدي، وعنصر المنافسة، كما لو كانت المسألة معركة حقيقية.. بين ما تصوره أغوار النفس على أفق الذاكرة. وبين ما يقوم القلم بخطه على أرض الواقع..

وتستمر المنافسة.. ويتواصل التحدي!

وكثيرًا ما ينجح القلم في الخروج عند آخر الجولة، حاملًا لواء النصر.. وبهجة التفوق!.

(4)

ويظل من الواجب في هذه الحالة أن يعلن القلم انتصاره على رؤوس الأشهاد.. ليمتع الآخرين ويمنحهم أطيافًا من البهجة.. كما استمتع وسعد هو بمذاق محصلات نجاحه.

وفيما عدا هذا.. يظل المطلوب من القلم الإحجام عن إعلان خسارته المعركة. .

لأن مجرد إعلان هذا يعتبر «اعتسافًا» لذائقة الناس، وقهرًا لعقولهم في التعاطي مع ما لا يروقهم.

ولعل الكثيرين في غنى عن هذا، لجهة كونه «غثاءً»..

لا يسمنُ ولا يغني من جوعٍ.

العلاقاتُ الإنسانية..
في المزاد

** هذا العالم بكل صوره المقلوبة، وأشكاله المتنافرة، وملامحه المتناقضة صار يدهشني..

يدفعني إلى التحديق..

يرغمني على الإنصات كثيرًا..

فلم يعد للعفوية، ولا للبراءة مكانٌ في دنيا التعاملات اليومية.. ولم يبق للحب الصادق مساحة فوق القلوب الملونة..

** حتى الابتسامة صارت مغشوشة.. صفراء باهتة.. بعد أن غابت عنها ملامح النقاء، ومعاني المودة.

إن جملة من الاستفسارات الكثيرة تمور بها جمجمتي، حتى تكاد...

تستنزفني..

تطحن عواطفي..

ترهقني.. وتزيدني حيرة..

وتبقى الردود بعد ذلك شاردة مني، كخيال هائم فوق مساحات تلفها مشاهد ضبابية تحجب الرؤية.. وتمنع تحديد الأبعاد.

** إن شيئًا واحدًا ألمحه وقد استحال سوقًا رائجة، وبضاعة مزجاة.. ذلكم هو (المصلحة) وتحت هذا الفهم (المادي) البغيض ومعه صارت تندرج كل أشكال العلاقات المتبادلة.. حتى في محيط الأسرة الواحدة التي يجمعها سقف واحد، صار هذا المنهج أرضية تقوم فوقها سائر التعاملات.

** لقد تبخرت كل محاولاتي الصاخبة من أجل تحديد «خارطة طريق» وسط هذه الملامح المتشحة برداء اللامبالاة.. أصبحت كمن يغوص باحثًا عن إبرة في قاع محيط متلاطم.

صرت كمن يفتش عن كنز إنساني مطمور، وسط جبل صخري صلد.. آلاف الأميال قطعتها محاولًا الوصول إلى شيء رائع، وسط هذا الكم من علامات الاستفهام..

** لم تستوقفني سوى.. وجوه الأطفال.. وتلك الضحكات البريئة المرسومة على شفاههم، لقد...

صارت الضماد الوحيد لجراح إحباطاتي..

وغدت بلسم الشفاء أمام شبح الانهزام..

وبقيت هاتف الأمل الأخير، في هذا الزمن الرديء، الغارق في أوحال المنافع الرخيصة.

** إن منتهى الابتذال لجوهر العلاقات الإنسانية، أن ترخص العواطف، وتتلاشى الأحاسيس إلى هذا الحد، الذي لا أجده يختلف عما يجري داخل «سوق المزاد» من ممارسات مادية نفعية بحتة.

قناةُ استهواء

(أ)

إذا كان للبيئة تأثيرها وانعكاساتها الواضحة على سلوك المرء، بحكم عامل التأثير والتأثر، اللذين يتسيدان تصريف العلاقات الاجتماعية داخل البيئة الواحدة.. فإن إحكام السيطرة على المؤثرات البيئية، يوفر أجمل ضمانات البناء الاجتماعي المتوازن.. ذلك البناء القادر على خلق مناخات صافية، من تعكير المناخ التربوي، والفكري، ومن الانزلاق نحو متاهات..

التباعد..

والضياع..

والتمرد الاجتماعي.

(ب)

وتبقى للمعاشرة داخل نقاط اجتماعية متقاربة أثرها الكبير، في تعميم نوع أو أنواع معينة من السلوك

الاجتماعي، بالصورة التي نجعل هذا النمط من السلوك أو ذاك أكثر قربًا من المألوف، والتطبّع.

وإذا كانت الأسرة الواحدة تشكل بيئة اجتماعية مصغرة.. فإن ما يجري داخلها من ممارسات سلوكية لا بد أن يندرج تحت مفهوم التأثير والتأثر.

(ج)

وإذا كان علماء الاجتماع ينادون ببناء الأسرة، قبل التطلع إلى محصلات المردود الإيجابي للمجتمع، فلأنها - أي الأسرة - ركيزةٌ محورية، وركن ركين من بواعث قيامه.

إن سلوكًا واحدًا أو أكثر في الأسرة أيًا كان اتجاهه أو موقعه، يعتبر قناة استهواء، وموقع استقطاب لمن حوله داخل البيئة الصغيرة..

(د)

إن ترشيد السلوك الاجتماعي يبدأ بالضرورة من داخل المنزل، من تلك الدائرة الصغيرة..

ليصبح فيما بعد..

نمطًا سلوكيًا شاملًا، تصل عموميته إلى كل قطاعات المجتمع واتجاهاته!.

قصائدُ من الجمر

** كثير من الكتاب.. الفنانين.. والشعراء وجدوا في «الكلمة» أقرب أداة للتعبير عن..

فكرهم..

ومشاعرهم..

وخيالهم..

ومحيطهم..

....

واستطاعت الكلمة أن تكون جسر الأمان.. وطريق الصدق الوحيد للوصول إلى أعماق أهل المواهب، عبر جواز سفر مفتوح لا يعترف بالقيود ولا الروتين..

وكثيرًا ما كانت الكلمة على ألسنة الكتاب.. وأهل الفن.. والشعر هي أدق حالات التعبير.. وأكثر عوامل التصوير لمواقف الحياة.. غير أن الشعراء ـ في ظني ـ بلغوا حالة مرتفعة من التصوير الدرامي الشاعري الجميل

للحياة ومجرياتها المختلفة.. وكثيرًا ما قرأنا تلك الملاحم الإبداعية، والصور الشعرية البديعة، التي نقلت لنا أدق الدقيق.

....

لذلك فإن الشاعر يكون دائمًا إبداعيًا في..

تصويره..

وخياله..

وأفقه الرحب..

ودائمًا يتجدد شبابه بشعره المحلّق!

....

غير أن ما يعيق حالات الإبداع لدى الشاعر هو غياب «الموقف»، لأن الشعر الناضج والسوي في غالبه إنما هو «موقف».. وإلا صار متاجرة بالتاريخ، والناس، والحياة، وذات الشاعر نفسه.

والشعر البديع يتكئ على استلهام المواقف الدرامية الحياتية، فيصوغها في قوالب أخاذة، تسافر بسامعيه وقارئيه إلى مدارات بعيدة من البهجة والثراء..

والشعر الحق لا يعترف بالحدود والأطر الهندسية، الشعر الجميل ليس مثلثًا ولا مكعبًا ولا شبه منحرف..

وإنما هو سباحة حرة في محيط أسطوري، وفي فضاءات متصلة بالشمس.

....

وتبقى القدرة على التعبير، والإبداع في الوصف.. ركيزة مهمة في البناء الشعري المتميز.

وإلى جانب كل هذه العوامل تظل المصداقية في التصوير عاملًا جوهريًا في نجاح الجملة الشعرية..

في صناعة قصيدة ملتهبة بجمر العواطف..

وفي عناق حالة فنية إبداعية متفردة.

المهووسون ماديًا

- 1 -

** شيء كالجحيم!.

الحقب تتبدل.. لكن المشهد باق!.

(المهووسون) ماديًا.. يتدافعون كالخراف في أعقاب الدرهم.. أينما حل.. وأينما رحل.. من خلال قنوات كريهة، لا يطالها - إلاّ أشباههم!.

الأكثر مرارة..

أن يضعَ المالُ قدمه فوق عنق القيم.. كل القيم الإنسانية.. عندها (وكإجراء منطقي لتسلسل الحدث)..

يتحول المال إلى ـ لعنة!

يصبح ـ أخطبوطًا..

وسرعان ما تتعاظم هيمنته.. ويمتد نفوذه إلى كل ناحية من أنحاء أولئك (البؤساء ـ إنسانيًا) الذين رضوا به

عنوانًا، يعلو جباههم.. وهدفًا (أثيرًا) يتحركون صوبه.. ومن أجله..

- 2 -

يا - للمال!

يا - للدراهم / السراب!

يا - للثقب الضيق الذي لا يرى الحياة بكل جمالياتها.. وبهجتها.. ونقاء أرديتها..

هل شيء أكثر حزنًا..

وهل شيء أكثر - حرقة من أن تتنامى سطوة الدرهم لتكون (المنظم الأوحد) لعلاقة الأب بابنه وابنته.. والشقيق بشقيقه ووالده و.... و.....!!.

(الموبوؤون) هم وحدهم الذين يسلمون رقابهم لهذا (المنظم الأوحد) لمواقفهم من الحياة والناس.. هم - وحدهم - الذين (يغسلون أيديهم) جهارًا نهارًا، ودونما خجل من كل الاعتبارات الحياتية الجميلة، ليسقطوا في أوحال الدرهم.

ـ 3 ـ

أليس الأمر ـ مدهشًا؟.

فما نكاد نصدق بأن أزمنة الخرافات والأساطير، والجهل بأبجديات الحياة قد انطوت وإلى الأبد في دهاليز الماضي.. حتى تصطدم ملامحنا بأشياء أكثر فزعًا..

فما زال في المكان (حثالة) من بشر شُغلها امتهان (المواقف الملوثة) تلك الأقرب إلى الأساطير منها إلى عصر العلم.. والفهم.. والمنطق.

يكفي أن تتأمل الواحدة منها لتنداح قشعريرة ثلجية من رأسك حتى أخمص قدميك!

يكفي أن تتفحص إحداهن لتعرف أن (القضية) عند أولئك الناس، تبدأ وتنتهي من نقطة ـ الدراهم.

يا ـ للزمن الملون.

هل صار المال (فتيلًا) يشعل كل الأشياء الجميلة؟!.

ـ 4 ـ

يا سيدي!

ما عاد عجيبًا في قاموس أولئك المفتونين ـ حتى

العظم ـ بالمادة أن يجعلوك (طريدة) في أعماق (مصائدهم).. حتى ولو كانت تمتد بينك، وبينهم وشائج من (قرابة).

ما عاد عجيبًا أن تصحو من نومك لتجدهم وقد (سرقوا) منك ـ أبناءك، وقلبك، وعمودك الفقري!

حينئذ يتفجر سؤال صاعق..

ـ ولماذا؟

ـ أمن أجل أن يساوموك على (حفنة دراهم)؟.

ما بقي مخجلًا أن تجدهم يهبطون الأسواق.. ويرتادون المجالس.. يعرضون عواطفهم في المزاد العلني.. وأبدًا لا يتنازلون عن شيء إلاّ بثمن!

ـ 5 ـ

يا سيدي!

شريحة صغيرة من المجتمع، تدفعك لأن تقول كل هذا.. فلك أن تتأمل ـ مجرد تأمل فقط ـ علامات التحفز.. والرغبة (المريضة) عند أحدهم وهو (يفاصلك) في ثمن (أقصد مهر) ابنته الموظفة التي ستتزوجها.. وما إن ترضخ مرغمًا ـ لأسباب ـ كثيرة.. حتى تجده (يصعقك) بشرط عجيب..

شرط يقتلع أقصى ضرس في فمك..

(أن يكون راتبها ـ أيضًا.. له)!.

هنا.. هنا يمكن أن «تُدحرج» شيئًا ما في فمك..

ثم... تقذفهم به.

بيارقُ خضراء

** أثبتت الأيام أننا أمة نبعثُ من براثن اليأس بيارق خضراء، ومن أردان الإحباط جبالًا شماء، وأننا نوقد من بقايا النار الهامدة شررًا يضيء..

وأننا قوم ننتزع النصر من فم الأسد..

هكذا يقول التاريخ!.

** وإذا كان للتاريخ منعطفاته، ومنحنياته.. فإن كل هذه الزوايا القسرية للزمن وبكل وحشيتها لم تكن مُثبط عزائم.. ولا مُرقّد هِمم.

وعجبًا لأولئك الذين يرون صفحة العربي قد انقضت، وطواها الزمن في ذاكرة التاريخ.. ولعل عذرهم أنهم لم يدركوا أن التاريخ يعيد نفسه، وأن ابن الصحراء الجديبة القاحلة، قد تلقن الصبر، وتعلم مرارة الزمن، وتطبّع بحب الموت من أجل الحياة.

** إن أمتنا أمةٌ ولود، غنية برجالها.. وأبناؤها هم

رجال مواقف.. ومواقفهم يرويها التاريخ.. وتاريخهم منارةٌ مضيئةٌ لا يموت ضوؤها..

نعم قد يخفت، ولكنه يظل جمرًا تحت الرماد، سرعان ما ينطلق من قمقمه كالمارد.

وهل لأمة لها كل هذه الخصال، والصفحات البيضاء الناصعات، هل يمكن أن يدب اليأس والقنوط والاستكانة في أوصالها؟.

إن قيام عامل اليأس في ضمير الأمة هو أغلى مطالب الأعداء.. فيه ومعه يمكن نخر عودها.. واستمالتها إلى التراجع. ولكن كيف يمكن أن يتحقق هذا «المطلب / الأمنية» للأعداء في أمة لها أصالتها، وتاريخها، ومواقفها الرائدة.

إن شباب الأمة العربية بحاجة إلى صحوة، وإلى يقظة دائمة.. ولذلك فكل عوامل اليقظة العربية هي بالنسبة إلى الأعداد المتربصين كشفٌ لمخططاتهم، وتعرية لمواقفهم.

** ذات مرة تناقلت وكالات الأنباء العالمية تحليلات إخبارية أجاز مروجوها لأنفسهم أن يطلقوا على الجيش الصهيوني مسمى «الجيش الرابع» في العالم.. وتلك «شنشنة نعرفها من أخزم».. إنها ورقة مكشوفة يقصد بها إدخال الرعب والخوف في نفوس أبناء العرب.. واستدراجهم إلى جملة من الإحباطات النفسية.. ولكن

الأمر البهي أن أكثر من موقف قد أثبت الشجاعة العربية، وقدرتها على «كسر» تلك الكذبة المخادعة، وذلك الاستنتاج الذي لا يخرج عن كونه واحدًا من أساليب «الحرب النفسية».

** ولعلنا نعرف.. ومعنا التاريخ يشهد أن اليهود طوال تاريخهم، هم قومٌ أذلاء، مشردون، ليس لهم حضارة، ولا تاريخ.

ولولا وقوف القوى الكبرى في صفهم لما كانت لهم هذه السطوة، التي لا شك أن يوم انقضائها وتشرذمها قادم لا محالة.

** قرأت للشاعر (محمود درويش) هذه الأبيات:

أحرقنا مراكبنا. وعلّقنا كواكبنا على الأسوار
لم نبحث عن الأجداد في شجر الخرائط
لم نسافر خارج الخبز النقيّ و ثوبنا الطينيّ
لم نرسل إلى صدف البحيرات القديمة صورة الآباء
لم نولد لتسأل: كيف تمّ الانتقال الفذّ مما ليس عضويًا
إلى العضوي؟
لم نولد لتسأل...

لم نولد لتسأل...

قد ولدنا كيفما اتفق

انتشرنا كالنمال على الحصيرة

ثم أصبحنا خيولًا تسحب العربات...

نحن الواقفين على خطوط النار

أحرقنا زوارقنا، و عانقنا بنادقنا

سنوقظ هذه الأرض التي استندت إلى دمنا

سنوقظها، و نُخرج من خلاياها ضحايانا

على نفسها..

جنت براقش

** عندما قام أول طفل فلسطيني بـ«تدشين مشروع الانتفاضة الباسلة» من خلال «الحجر.. والمقلاع.. والنباطة».. كان العالم كله يستقبل باهتمام متزايد ذلك اللون من الكفاح البطولي ـ النادر.

كانت ـ إسرائيل - فيما مضى تراهن على الزمن.. وتعتقد أن «عشرات السنين كافية لأن تأتي بجيل جديد بدون «ذاكرة».. وبدون «حس وطني»!.

لكن الذي حدث أكد بـ «الأدلة الدامغة» مدى جهل إسرائيل.. وقصور نظرتها.. واختلال تقديرها.

فقد أثبت أطفال «القدس.. وغزة.. ونابلس» أن عشقهم لتراب الوطن «قصيدة جميلة» يلقنها الآباء للأبناء والأحفاد..

وأن «فلسطين» صفات وراثية تنتقل تلقائيًا من جيل إلى جيل..

وأن «مرتفعات الجليل.. وشوارع القدس».. و«ساحل

غزة» كريات دم حمراء لا يمكن أن يعيش أي فلسطيني بدونها..!

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وفيما إسرائيل تتباهى بـ «ديمقراطيتها المزيفة» و«حضارتها المزورة» و«عقلها الذي لا وجود له ـ أساسًا!.

فيما هي تفعل ذلك.. ظل أطفال فلسطين ـ أيام الانتفاضة الباسلة ـ يواصلون تقديم تقاريرهم الأولية إلى العالم عن الحالة الصحية لـ «عقل» إسرائيل».

فقد اتضح ـ تمامًا ـ أن «الكيان الصهيوني» مصاب بـ «لوثة عقلية» خطيرة.

وتأكد ذلك أكثر منذ اليوم الأول لـ «إزاحة الستار» عن «ثورة الحجارة» حينذاك.. ثم تكرر ذلك يوم تلاوة السيد ياسر عرفات ـ رحمه الله ـ خطابه في جنيف أمام ممثلي العالم.

وسيظل ذك يتكرر ما دامت أنياب الاحتلال مطبقة على تراب فلسطين الطاهر.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ذات مرة جلس تاريخ العالم مبهورًا. يتأمل مشهدين متناقضين..

«أبو عمار» يخرج من تحت كوفيته الفلسطينية «غصن الزيتون» في جنيف.. وينادي بالسلام، والمحبة.

و«إسحق شامير» يبصم بيديه «الملطختين» بالدماء على قرار بناء ثماني مستوطنات جديدة «يقدمها عربونًا ثعلبيًا كاذبًا لعشقه للسلام»!.

ومن حسن الحظ أن «العالم كله» من خلال قنواته الإعلامية، قد سجل ذلك، ووثقه في ذاكرة التاريخ!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

العالم «المتحضر» الذي احتضن إسرائيل لأكثر من «60» عامًا حتى الآن، لا بد أنه يشعر بالخجل، وحُقّ للشرفاء ـ أقله فيه ـ أن يخجلوا!.

بل يجب أن يتواروا فضيحة، فكل الوصايا والفلسفات التربوية الحديثة لم تثمر مع «المراهقة» الإسرائيلية.. التي ظلت مستعصية على كل الحلول.

ولهذا فإن كل «النبلاء» في هذا العالم ـ من أقصاه إلى أقصاه ـ لا يمكن للواحد منهم أن يشك لحظة واحدة في أن «إسرائيل» طراز غريب وعجيب بين مجتمعات الأرض.

فمنذ ولادتها في عام 1948 وهي «وليد مشوه».. ومعاق.. ومصاب بـ «اختلال عقلي»!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ولهذا فإن ترددها المستمر إلى «المصحات العقلية» لم يقدم لها شيئًا.. بل زادها جنونًا فوق جنون.

من أجل ذلك، فإننا نستطيع أن نفسر.. لماذا «إسرائيل» تكره الأطفال.. ومستشفيات الولادة.. واللون الأخضر.

فلم يقرأ أحد عبر حقب التاريخ ـ القديم منها أو الحديث ـ أن تحول الأطفال إلى «هدف» للسهام، والبنادق، وفوهات المدافع، لتكسر عظامهم، وتسحق جماجمهم، ويدفنوا أحياء.

ولم يسمع أحد بأن «حساسية ما» قد نشأت بين الإنسان، وبين الشجر الأخضر، وحرق الغابات، وإتلاف الثمار الناضجة بالكيماويات.

ولم يجد أحد في دفاتر الزمن أن «بطون النساء الحوامل» قد صارت أرقًا يطرد النوم من الأجفان.

ولم تعرف جماعة بأنها قامت «برش» الفتيات بالغاز المؤدي إلى «العقم» وهن داخل مدارسهن.

كل هذه الأفعال «الجميلة».. و«النظيفة»..

و«الإنسانية» لم يتشرف بها أحد من قبل.. فكان لـ«إسرائيل» وحدها الشرف بحمل شهادة تنفيذها بكل «براعة»..

بل بـ«مرتبة الشرف الأولى».. فمبروك لها ذلك الإنجاز.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

الشيء المدهش ـ أيضًا..

أن بعض هذا العالم «المتحضر» ما زال يبارك «المراهقة» الإسرائيلية.. بدلًا من أن يمد يده إلى الأذن الإسرائيلية «ويقرصها».. ويقول: «عيب ـ يا ولد»!.

ما نجده مع الأسف من بعض هذا العالم هو مواصلة تقديم علب الحلوى والشوكولاتة لإسرائيل، بل يربت على كتفها.

إنني أسمح لنفسي ـ إنسانيًا ـ بالشفقة على «الحضن» الذي تستمد منه إسرائيل دفئها.

فقد بدأت معالم «العقوق» الإسرائيلية تظهر على السطح..وغدًا سنرى تطورًا أكثر لذلك العقوق..

وعندئذ «سينقلب السحرُ على الساحر».

وسيعرف أولئك قيمة المثل العربي الذي يقول: «على نفسها جنت ـ براقش»!.

المجنونُ.. الذي لم يمت

** كثيرون هم الشعراء الذين تغنوا بالحب في أشعارهم، وكثيرة هي روايات الحب التي تحفل بها ثقافات الشعوب، طوال قرون عديدة مضت في طيات التاريخ.. لكن قصة واحدة من كل تلك لم تصل إلى حد تصويرها على أنها بمثابة «الأسطورة».. مثل قصة «المجنون»!.

** «مجنون ليلى».. قيس.. الرواية الغرامية استطاعت برغم تقادم الزمن أن تحتفظ بحالة متميزة من «الإلهام».. ربما لما تحمله من مضامين إنسانية، يأتي في مطلعها التوق إلى «الحرية».. ابتداء بحرية معايشة الحب، ومرورًا بحرية اختياره، ثم بحرية إعلانه والتعبير عنه.

** إن أحدًا لا يختلف في أن «أسطورة» قيس هذه بكل دلالاتها الثقافية، قد صارت عنصرًا متحركًا داخل فكر الثقافة العربية، من خلال مجمل ما أحاطها وانطلق منها من الخيالات الشعرية والروائية، والتاريخية أيضًا.

** قيس العامري ـ الشاب الذي أحب ليلي ابنة عمه

ـ فشل في إتمام شوقه بالزواج بها.. الأمر الذي دفعه إلى السخط والتيه في مجاهل الصحارى بعيدًا عن القبيلة، إلى حيث الطبيعة، التي كان يجد في عناصرها وحياتها صورًا للحبيبة التي حرم منها.

** إن قيمة الإبداع في تلك الرواية ـ رواية المجنون ـ أنها لم تبق داخل دائرة الثقافة العربية، ولكن بريق إبداعها دفعها لأن تقتحم الثقافات الأخرى لكثير من الشعوب.. لتمضي وكأنها ليس مجرد سيرة ذاتية.. وإنما أسطورة ترتفع قيمتها بالشكلين الأفقي والرأسي.. للمكان والزمان!.

** وبرغم تلازم الشعر والحب من خلال هذه الرواية وداخل إطار الثقافة العربية، إلاّ أن تفرد تلك الحالة بالتغني بـ «الحرية» جعلها حالة إبداعية متميزة، ومؤثرة.. فوق أن أبطال تلك الرواية هم الذين يتحدثون عن ذواتهم.. ويحركون خيوط الأسطورة.. وليس الآخرين.. كما في الكثير من الروايات المشابهة لها.

** الكاتب الفرنسي «أندريه مايكل» يقول عن قيس:

«إنه لم يمت حقًا.. بل أعطى ولا يزال يعطي الحياة لمجانين عديدين من بعده»!.

غرائبُ المشاهير

1

ما هي قصةُ المشاهير الذين وصل صيتهم إلى أقاصي الدنيا.. وكيف هي حياتهم؟.. ولماذا كل تلك الغرائب تحدث في معاشهم اليومي.. وتمضي بهم لتكون نهايتهم أغرب من كل التصورات؟!.

ثم هل هي حقيقة كل تلك المزاعم التي يرويها لنا التاريخ عن كل أولئك المشاهير؟!.. إذا كان الأمر كذلك، فإن للشهرة وللأضواء ضريبتها حقًا.. وقد يصل الأمر إلى حد تصنيف صاحبها في عداد النماذج الغريبة من البشر، حياةً ونهاية.

2

لنأخذ على سبيل المثال نماذج من المشاهير، ممن ذاع صيتهم في كل الدنيا.. وكيف كانت الغرابة في حياتهم!.

فهذا الفيلسوف والأديب الفرنسي المعروف «فولتير» لا يستطيع الكتابة إلاّ إذا وضع أمامه مجموعة من أقلام الرصاص.. وبعد أن يَخلص من كتابته يحطم الأقلام ويلفها في الورقة التي كتب فيها ثم يضعها تحت وسادته وينام!.

3

ونموذج ثان لأحد المشاهير هو الكاتب والشاعر الأيرلندي «أوسكار وايلد» الذي كان يفضل إطالة شعره كالنساء.. ويقوم بتزيين غرفته بالزنابق وريش الطاووس.. وقد حكم عليه بالسجن غير مرة لاتهامه بجرائم أخلاقية.

ونموذج ثالث نراه في الفيلسوف الألماني «نيتشه» صاحب مبدأ «البقاء للأصلح» وأحد مؤسسي النزعة القوْمية الجرمانية.. فقد كان منطويًا على نفسه منعزلًا عن الناس والمجتمع.. كما كان يحتقر المرأة ويصفها بأنها غير قادرة على الحفاظ على الود، ولا هدف من وجودها إلّا الترفيه عن الرجل الذي يقع في حبها، وعندئذ تنقطع دونه سبل الحياة ويبقى على هذه الحالة حتى تنتهي حياته بالجنون.

4

ونموذج آخر نراه في «نابليون» إمبراطور فرنسا «وصاحب الانتصارات المتعددة».. ومن أعظم العبقريات التي عرفها التاريخ المعاصر.. لم يكن يشرع في رسم خطة حربية إلاّ وهو يمتص أقراصًا من أحد أنواع الحبوب، كما كان خطه رديئًا جدًا، حتى ظن البعض أن رسائله رموزٌ أو خرائط حربية.. ويصفه المقربون إليه أنه غريب الأطوار وطيب القلب، حتى إن أي إنسان يستطيع أن يخدعه!.

5

وبعد.. أليست هذه مسائل غريبة حقًا، نراها في حق أولئك المشاهير وغيرهم.. ومن هنا نخرج باستنتاج قد يكون موضوعيًا، وهو...

أن الإنسان مهما كانت شهرته، فلن يصل إلى درجة الكمال في حياته.

إن الكمال لله وحده!.

سقوطُ آخر..

«المشاعيب»

فيما مضى.. كان الرجل يتزوج ثلاثًا، وأربعًا، لعدة أهداف.. من بينها أن يكون لديه «جيش» من الأولاد.. ليكونوا «صوته» إذا تكلم.. و«سنده» إذا تحرك.. و«عزوته» إذا جلس في المجالس.. و«عُصبته» التي يتزعمها.. فيقدمها متى شاء.. ويؤخرها متى أراد.. وبها ومن خلالها يفرض «صوته» على الآخرين!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

أما الآن.. وبعد أن صار الحال غير الحال.. فقد عمل الزمن على تجريد تلك القناعة القديمة من كل أسباب الوجاهة والقبول.. وتأسيسًا عليه فقد صارت الزوجة الواحدة من «فوق الرأس».. وصار وجود أكثر من طفلين في البيت كافيًا لأن تتحول الشقة إلى «مدرسة للمشاغبين» معظم خدماتها مزيد من الصداع.. و«الدوار».. و«تنشيف الريق».. بدلًا من تلك «العزوة» التي كان يتطلع إليها الأب.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

هذه واحدة.. أما الثانية فقد رأينا كيف تنازل الكثيرون عن عدد ليس قليلًا من «أدواتهم» القديمة.. تلك التي كانت تشكل منظومة عجيبة.. لدعم منطق «الهيبة» ذاك..

فلا «المشعاب» صار ضروريًا..

ولا «الدبسا» صارت مهمة..

ولا «الهراوة» أصبحت مطلوبة..

وفي الوقت نفسه فقد اختفت في القرى والأرياف صورة ذلك الإنسان الذي كان إذا «هبط» الأسواق.. أو عاد من الأسفار، بدا في صورة «رجل مفخخ».. يحمل فوق جسده «ما خف وزنه ـ وزادت مرارته».. من أدوات تصلح لتنفذ «علقة» ساخنة لخصومه..

وكيف أن أحدًا لم يكن يجرؤ على الاقتراب منه، فضلًا عن ملامسته.. وكأنه مكتوب على صدره «خطر ـ ممنوع الاقتراب»!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

غابت كل تلك الصور والمشاهد الدرامية.. وانتهى بذلك مهرجان طويل من «العنتريات».. و«الفتوة».. وتلك اليد الغليظة التي كانت تلوح في إيقاع متجانس مع عبارة «أبو فلان ـ أبوه».

ولأن العصر صار عصر المنطق والحوار.. عصر العلم.. والثقافة.. فإن «لغة المشاعيب» قد خرجت من النافذة.. لتترك المكان فسيحًا لدخول «لغة الحوار» من الباب.

انتهى إذن زمن الاحتكام إلى كل تلك الصور الفلكلورية كمصدر لـ «القوة».. بل إنه «مات وشبع موتًا»!.

ليس لأن تلك الصور صارت لا تقدم ولا تؤخر.. ولا لأنها أصبحت فقط «ما تسوى قرشين» في عالم اليوم.. بل لأنها صارت خليطًا من المشاهد «الكاريكاتورية» المتداخلة والمفعمة بالكثير من الحمق والحماقة... بحيث لا يمكنك لحظة مشاهدتها إلا أن «تنفجر» ضحكًا كردة فعل طبيعية للمشهد.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ولما كان الأمر كذلك.. فإنه صار من الطبيعي أن تدير ظهرك لكل تلك الصور.. والمشاهد.. والأدوات القديمة.. وتفتح ذراعيك لـ «العقل» كبديل منطقي أكثر فاعلية.. وأشد تأثيرًا.. خصوصًا وأن هذا «الكمبيوتر» الصغير الذي تحتضنه جمجمتك.. قادر على أن يكون...

«صوتك» إذا تكلمت..

و«سندك» إذا تحركت..

و«عزوتك» إذا جلست في المجالس.

جزارٌ.. في جيبه «بكالوريوس رياضيات»

** عندما تقابل جزارًا - أي جزار - من أولئك الذين يقضون سحابة يومهم بين «سوق الأغنام».. و«المسلخ» فإن أقصى ما تنتظره من مثل ذلك العامل البسيط.. أن يكون لديه بعض إلمام بالقراءة والكتابة.. لكن أن يفاجئك بكلام آخر.. لم يكن يخطر لك على بال.. بحيث يقول لك مثلًا.. إن في جيبه «بكالوريوس» رياضيات، فإن ذلك كافٍ لأن يفعل بك الكثير.. بدءًا بـ«انعقاد» لسانك للحظات عن الكلام.. ومرورًا بمعايشة حالة من ترنح الذات، تقترب إلى حد ما من تلك التي يمر بها مصارع متواضع الإمكانيات، يقوده سوء التقدير إلى مقارعة «ثور بشري» لا يتردد في إهدائه عددًا لا بأس به من «اللكمات» فوق «نافوخه».. وانتهاء بالتحليق في فضاء واسع من الدهشة.

** كل هذا.. وأنت في محاولة جادة «للربط» بين ما تسمعه من كلام.. وما تراه من واقع.. بين المكان «الطبيعي» لصاحب شهادة كهذه.. وبين هذا المكان «الاستثنائي».. الذي لا تشفع له مبررات كونه مكانًا شريفًا،

نظيفًا، ومصدرًا للقمة العيش.. ولكنه - في كل الأحوال ليس مكانًا ملائمًا لمؤهل أكاديمي كهذا.

كاتب هذه السطور عاش هذا الموقف «بشحمه ولحمه».. عندما كنت ذات يوم بحاجة إلى خدمات «جزارة».. وإذ بالمصادفة وحدها تجمعني بذلكم الرجل القادم من بلد عربي.. لنتفق معًا ـ هو وأنا ـ على «مشروع» ذبح وسلخ وتقطيع خروفٍ واحد.. وخلال زمن المشروع تفجرت هذه «الحكاية ـ المأساة»!.

** وأعترف لكم أنني ـ في البداية ـ ظللت أتأمل كثيرًا كلمات الرجل تارة، وأعيد النظر في ملامحه تارة أخرى.. في محاولة للخروج بدليل مبكر على صدق قوله.. وما إذا كان يقول كلامًا «مليانًا».. أم أن حرارة الشمس قد جعلته «يهذي».. أم لعله أراد مداعبتي «بمزحة» ثقيلة كتلك.. لم يكن يكفي «لابتلاعها» كوبٌ واحدٌ من الماء.. ولا ـ حتى عشرة!.

ولكن ما أن تأكدت من صدق كلام الرجل حتى بدأت بـ«ضرب كفٍّ بكف» حسرة على هذا الزمن «الملوّن» الذي بلغت به الجرأة مرتبةً جعلت بكالوريوس الرياضيات «تتواضع» إلى هذا الدرك السُفلي.. فيصبح مجال عملها مقتصرًا على «عالم ـ المسالخ».

بحيث ـ والحالة هذه ـ يصبح لا عمل لها إلا..

إيجاد «حاصل» جمع «الأمعاء»..

وإعطاء «الجذر التكعيبي» لـ«الكرشة»..

وتقديم «النسبة» المئوية لـ«المقادم»..

وتحديد «حجم الكتلة» لـ«الإلية».. وهكذا..

** إن لك أن تتساءل ـ ببراءة ـ كيف استطاع هذا الزمن أن ينتزع من يد ذلك المعلم القلم و«الطباشير».. ويُعطيه بدلًا منهما السكين و«الساطور»؟!.

كيف انتزع جلال المُعلم وهيبته.. و«ألبسه» بدلًا منهما «ثوب» الجزارة البسيط؟!.

إن حكاية ذلك العامل المسحوق، البسيط والنبيل معًا.. ما زالت تتردد في قاع جمجمتي.. وما زالت شاهدًا على هذا الزمن «الرمادي» الذي صار موغلًا في قسوته!.

** غير أن ما شدني ـ كذلك ـ هو تلك الروح الوثابة التي كان عليها الرجل.. وتلك الحماسة في الأداء.. والإخلاص في العمل.. والرغبة في العيش الكريم من خلال واحدة من القنوات النظيفة والشريفة.. رغم كل حصارات الإحباط.

تلك كانت الحكاية..

** أما الفصل الأخير منها فكان عندما وجدت نفسي أقدم له المبلغ الذي اتفقت معه عليه أجرة، مقرونًا بعبارة ـ خرجت عفوية ـ عندما قلت له:

«تفضل أُجرتك - يا أستاااااااذ»!.

زارعُ الابتسامات

** من لا يهمه غير نفسه ليس «أنانيًا» وحسب.. ولا هو مغرمٌ بـ «حبّ الذات» فقط.. ولا من الذين يقولون «أنا ـ ومن بعدي الطوفان».

** من يفعل ذلك هو ـ في حقيقته ـ خليطٌ «عجيبٌ» من المشاعر التي لا يقرها عرف.. ولا يعترف بها قانون.

** إنه نمطٌ سلوكيٌّ غير مستحب، يريد كل شيء.. ولا يريد أن يعطي أيّ شيء.. إنه عالمٌ وحده.. مليءٌ بالتناقضات الحادة، والمشاهد «الدرامية» المؤلمة.

** إن بيننا ومعنا فئات قليلة لا يهمها غير «التقاط» فرصتها بأي أسلوب.. ومن أي مكان.. ولا يهمها بعد ذلك أي شيء.

** فيما آخرون تجدهم - على الدوام ـ أياديَ بيضاء.. تمتدُّ لهذا، وتدفعُ ذلك، وتحتضنُ ثالثًا.. لها فلسفةٌ حياتيةٌ لا تتبدل بتعاقب الأيام.. وأولئك هم الناسُ الذين اختارهم الله تعالى لعون عباده.

** إن الذين يَسعدون عند إسعاد الآخرين هم «الأسوياء».. هم الذين يملكون...

«دواخلَ» نقية..

وقلوبًا عامرةً بالود..

واستعدادًا كبيرًا للتضحية..

وتقديم كل الممكن من العون للمجتمع.

** ما نحلم به.. أن يكون منهج تقديم العون للآخرين، قاسمًا مشتركًا بين الناس، في كل العلاقات التي تربطُ منظومة المجتمع.. كي يتم تكريس هذا النمط السلوكي، ليصبح منهجية تعاملٍ لكل منا منذ نعومة أظفاره.. منذ انطلاقته الأولى على الأرض.. حتى يشبَّ محبًا لفعل الخير.. لعمل الخير.. لتقديم العون..

وليكون من أولئك الذين اختارهم الله تعالى لقضاء حوائج الناس.

** إنها «متعة» في ذاتها..

نعم.. هي متعة أن تظل ـ على الدوام ـ مُهيأ لزرع الابتسامات على وجوه الآخرين..

على نثر الأطايب..

وزرع الأقحوان فوق ملامح مَن حولك.

سُ قُ و طٌ

** لدوافع كثيرة.. تجده في كل مرة يعود فيها من رحلة إلى الخارج.. (يتقيأ) كلامًا سيئًا.. ويسردُ حكاياتٍ هابطة.. يبتسم.. يبتسم كثيرًا..

وأحيانًا أخرى يضحك ـ مُنتشيًا..

و(ينتفخ) في ثالثة مثل طاووس غبي..

** من يقوده حظه ـ حظه العاثر طبعًا ـ للجلوس مصادفة أو غير مصادفة.. أمام الواحد من أولئك.. تلمح عليه أمارات التململ والضجر.. لكنه يتماسك حفاظًا على أشياء كثيرة..

الجالسون، المجلس، وأملٌ ضعيفٌ في أن يكف ذلك الأرعن عن (نشر غسيله) المقيت..

لكنه.. لا يستحيي (!)..

أبدًا لا يستحيي (!).. كأنه لم يقرأ، ولم يسمع أيضًا بـ (إذا بُليتم فاستتروا)!.

** هذا الـ (سوبر مان) الورقي.. يعتقد أن الإنصات إليه هو إعجابٌ، وتقديرٌ، وطربٌ لحديثة (الملوث).. ولصولاته، وجولاته (النتنة)!.

** إن كثيرين يستطيعون السفر إلى أقاصي الدنيا.. ولكنهم لظرفٍ ما، لا يسافرون اليوم.. وربما يسافرون غدًا.. والسفرُ في حقيقته ليس إنجازًا.. ولا بطولةً.. ولا شيئًا خارقًا للعادة.

ولذلك فإن الذي يفخرُ بأنه يسافر دائمًا.. ويركبُ الطائرات، ويمتطي القطارات.. هكذا بدون هدفٍ سام.. ولا غاية نبيلة.. إنما هو (إنسانٌ فارغ).. يهدر مالًا كثيرًا، من الأولى بل من الواجب أن يسخرهُ لتربية أولاده، وإكرام أهله.

** ثمة أناسٌ يعتقدون أن (السفر) إحدى الأدوات المهمة للوصول إلى (الوجاهة الاجتماعية).. ولذلك فإنهم من منطلق (رؤية قاصرة) تظلُّ حكايةُ السفر هذه لعنةً تطاردهم.

** وحتى لا تذهب الظنون بالبعض مذاهب شتى.. فإننا نؤكد على أهمية السفر، وفوائده وثماره، وعلى انعكاساته على أفق المسافر.. لكننا في الوقت ذات ينبغي أن نفرق بين سفرٍ.. وسفر.

** وبصراحة أكثر، إن الذي يسافرُ من أجل أن (ينبسط) بشكل يجعله هذا (الانبساط) يتجاوز قيمه الدينية والاجتماعية والحضارية، هو ـ في الحقيقة ـ إنسانٌ بائسٌ فكريًا، ويعاني تناقصًا في الثقة بنفسه.. فضلًا عن أنه يمارس تمردًا.

** والغريب في المسألة أيضًا، أن هذا المسكين ـ المسكين فعلًا ـ من أولئك الفارغين.. أو (المفرّغين) ـ لا فرق ـ من الأهداف النبيلة والكبيرة للسفر الحقيقي المفيد.. بسبب أن الواحد من هؤلاء لا يكف أبدًا عن (اجترار) أحاديثه الكريهة في كل مجلس.

** ليت الواحد من أولئك ينظر حوله، ليعرف ولو لمرةٍ واحدةٍ حجم سقوطه. .

نعم ـ سقوطه المروّع ـ من عيون من يتحدث إليهم، حتى وإن ضحكوا له زورًا!.

المفتاحُ السحريُّ

«السهل»

** ثمة من يعتقدُ أن «المثالية» أمنيةٌ عزيزة.. وحلمٌ بعيد المنال.. وأن «متاريس» صلدةً تفصل ما بين «العادية».. و«المثالية».

** قد يكون هذا صحيحًا!.. ولكن الصحيح أيضًا أن مفتاحًا «سحريًا» صغيرًا تستطيعُ به أن تفتح «بوابة» المثالية..

وأن تدلف إلى ردهاتها الرحبة.

** هذا المفتاح.. اسمه «الجدّية».. وبقدر ما تكون منهجيتك في العمل والتعامل مصبوغة بـ «الجدّية».. تكون قادرًا على المضي قدمًا في آفاق المثالية.

** ولربّ ثقب صغير ـ في طريقك ـ لا تعمل له حسابًا، قد يعملُ على قلب كل موازينك، وإحباط كل خطوة تحلم بها نحو آفاق المثالية.

** هذا «الثقبُ» الصغيرُ هو «اللامبالاة».. ذلك النمط السلوكي القاتم، الذي ما إن يتلبس الإنسان ـ أي

إنسان ـ حتى يعمل على قطع كل «نقاط الاتصال» المؤدية إلى حلمه الجميل.. المثالية.

** إن جديّتك في عملك..

في تربية أبنائك..

في تعاملاتك الحياتية المختلفة..

هي في الواقع وسيلةٌ تكسب بها حفاوة الآخرين، واحترامهم، واعتزازهم بهذا المنهج التعاملي الرفيع.

** أما الذين يراوحون على طريق «اللامبالاة».. فإنهم دومًا نتوءات شاذة في جسدِ كل الانطلاقات السلمية، والتوجهات «البيضاء» الصافية.

** إنك بـ «الجدّية» تستطيعُ أن..

تخدم ذاتك كثيرًا..

تستطيعُ ـ في الوقت ذاته ـ أن ترفع معيار «نوعية» عملك..

تستطيعُ أن تكون قدوة..

ومثالًا يُحتذى.

وبكل هذه المكاسب، يصبحُ الأمر سهلًا، وتكون قد حلّقت ـ فعلًا ـ في فضاء المثالية.

استسلامٌ!

** لأن هذه الحياة - في مجملها صدامٌ وتصالح.. تلاقٍ وتنافر..

ساعاتُ صفاء ولحظاتُ وجع.

فإن تهيئة الذات لقبول كل هذه (التشكيلة) من المتناقضات أمر ينبغي أن لا يغيب عن البال أبدًا.

** فالذين يمتطون (بساط الريح) ويجعلونه يسافر بهم بعيدًا، بعيدًا، خارج إطار الفرحة، وبعيدًا عن ضوابطها، ومقاييسها، هم تمامًا مثل أولئك الذين يسلمون ذواتهم لـ (قبضة الوجع) عندما يدعونها تفتكُ بدواخلهم، وتمزقُ أحشاءهم.

** إن أي (خفقة) فرح، أو (ومضة) كدر، ليست الدنيا كلها، فالسرورُ المطلق، والألم الأبدي، حالتان تتلبسان الإنسان ـ أي إنسان ـ ولا يمكن لواحدةٍ منهما أن تظل (خيمة) تظلل المرء طوال عمره.

** الغريب في المسألة.. أن البعض (يستسلمُ) لحالة ما، بشيء من الانفعال الذي يخرجه عن نطاق التعامل الأمثل معها.

** أولئك ينسون أنفسهم..

ينسون (طبيعة) الحياة..

ولا يتذكرون إلاّ بعد أن يسافروا بعيدًا، فوق طرقات الإفراط.

** إن القوي ـ القوي فعلًا ـ هو ذاك الذي يبدو في معظم الحالات

متماسكًا..

واثقًا..

ومدركًا ـ تمامًا ـ لموقع كل خطوة يخطوها.

** قال الأولون: الحياةُ مدرسة.. هذا صحيح، ولكن انتبه!..

ليس بالضرورة أن تتعلم من أخطائك فقط..

يجب ـ إضافة إلى ذلك ـ أن تتعلم من أخطاء الآخرين..

من إيجابياتهم..

من حسن نهجهم، ومناهجهم.

** إن الذين يفتحون (نوافذ) دواخلهم على مصراعيها أمام كل حالة من حالات الحياة، يخطئون!.

** ولعل من المناسب... أن تكون (درفتا) النافذة مواربتين، حفاظًا على أشياء كثيرة بالداخل، من..

أن تتطاير ـ بكاملها ـ من جراء التيار.

الصمتُ.. كـ «موقف»

** ثمة من يلجأ إلى (الصمت).. ويتخذ منه «لغةً للتخاطب»!.

** ويظل (الصمت) عند أولئك أداة هامة من أدوات الحوار الفاعل.. ذلك الحوار الحضاري، الذي يمكن به ومن خلاله نقل وجهات النظر إلى الآخرين.

** وتأسيسًا على هذا الفهم.. فإن (الصمتَ) عند أولئك يعبّر عن (موقف).

** ليس بالضرورة أن يكون (الصمتُ) دليلًا على التراخي..

ولا مؤشرًا على الإفلاس..

ولا تنازلًا عن القناعات.

** الجميل حقًا.. أن مبررات التعامل بالصمت عند أولئك هي:

أنه عندما يجدون أن كل الأصوات من حولهم قد تعالت..

وصار لها ضجيج يخرجها عن نطاق المألوف..

يصبحُ المناخ غير ملائمٍ للتعامل معها.

** ولأن أولئك يرفضون ـ أساسًا ـ التعامل مع الأصوات المرتفعة.. ولا يفهمون الحوار مع الضجيج.. فمن الطبيعي أن تكون ردّة الفعل عندهم

مجرد ـ صمت!.

** لكن.. هذا (الصمت) يظل لمن يفهمه..

ردًا بليغًا..

وموقفًا دقيقًا لوجهة النظر..

إنه ليس انسحابًا من دائرة الحوار.. ولا تراخيًا، أو عجزًا..

هو ـ بالضبط ـ استنكارٌ للصخبِ فوق مائدة الحوار!.

** أولئك يدفعوننا لأن نتوقف قليلًا.. وفي لحظة تأمل فريدة.. أمام هذه المقولة:

(إذا كان الكلام من فضة.. فالسكوت من ذهب).

** مجرد تأملها.. يدفعنا لمواصلة السرد..

يقودنا للإمساك بهذه الحكمة الذهبية..

التي ـ ربما ـ لم يفطنْ لها أولئك الذين يتعاملون دومًا بمنطق الصراخ..

** إن (الصراخ.. مقابل الصراخ)..

لا يبني مجدًا..

ولا يُحق حقًا..

ولا يُنتج فكرًا..

وإنما يفضي إلى محصلات هشة.. تمامًا كأولئك الذين (يحرثون البحر)..

فلا يحصدون سوى ـ العاصفة.

ريشةٌ..
في مهبِّ الظروف

كما أن الناس أجناسٌ.. ولغاتٌ.. وعاداتٌ.. وطبائع.. فإنهم كذلك «مواقف»!.

فموقفك.. أو جملة مواقفك كإنسان هي ـ أولًا وأخيرًا ـ المعيار الدقيق لشخصيتك.. لمنهجك في الحياة.. لـ «نوع معدنك»!.

والذين يفصلون بين «الموقف» و«القناعة» إنما هم أناس يعوزهم الكثير من أبجديات فهم الحياة.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

إن موقفك ـ مهما كان - يظل مؤشرًا على «قناعاتك».. لهذا فإن تقويم الآخرين لك يستند ـ في الأساس ـ إلى هذا «الموقف ـ القناعة».

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

من أجل ذلك فإنه يجب أن يكون الرباط «وثيقًا» بين كل من: «الموقف» و«القناعة».

بل الواجب والصحيح أن يتحدا ويلتحما، ليشكلا نمطًا سلوكيًا قائمًا بذاته.. ذلك لأن أي «فجوةٍ» بين الموقف من ناحية.. والقناعة من ناحية أخرى.. إنما يعني وجود خللٍ ما.

وهذا الخلل كفيلٌ باهتزاز الشخصية ـ أي شخصية.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

ثمة أناس ـ في واقع الأمر ـ لم يستطيعوا الجمع بين الموقف.. والقناعة!.

فتراهم يمارسون «مواقف» لا تتفق مع قناعاتهم!.

ويبررون ذلك بأن «ظروفًا صعبة» تجعلهم ـ رغمًا عنهم ـ يتصرفون خارج ما تمليه عليهم قناعاتهم.

وبلغة أخرى فإن «استسلام» أولئك لـ«الظروف» وبمثل هذه الصورة، جعلهم يدفعون الثمن غاليًا.. ثمن خسارة القدرة على الجمع بين الموقف والقناعة..

وثمن أن يكونوا كبارًا أمام أنفسهم.. وأمام الآخرين!.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وتبعًا لهذا، فإن اهتزاز شخصياتهم يظل السمة التي تميزهم من غيرهم.

ولأن الشجاعة الأدبية «تنقصهم».. فإنهم بهذا «الفصل المؤلم» بين القناعات والمواقف يظلون أبدًا..

«ريشة في مهب ـ الظروف»!.

الإنسانُ ـــ الحرباء

** الذين يمارسون حكاية «اللعب على الحبلين».. والذين يلقون الناس بـ «وجهين».. إنما هم «وجهان» لعملة واحدة!.

** هم ـ في الأساس ـ يمارسون لعبةً خطرة.. بل قذرة.. وما ذاك إلا لأن في دواخلهم «بركانًا مضطربًا» يلفظ حِممًا موسومة بالقلق.. وعدم الاستقرار.

** والعجيب في المسألة.. أنه رغم «التمويه» المدهش.. و«الأقنعة» الغريبة التي يرتدونها.. فإن الواحد منهم يتظاهر عندما «يقع في المصيدة».. بأنه ـ حملٌ بريء!.

** أولئك هم أبعد الناس عن «الخط الواضح».. وعن «الموقف الثابت».. وعن المبادئ.. والأعراف.. وبرغم ذلك تجدهم ـ في كثيرٍ من المجالس ـ أكثرَ الناس متاجرةً بالمبادئ، وأكثرهم تشدقًا بالأعراف والقيم.

** إن «أبو ـ وجهين».. ورفيقه «الذي يلعب على

الحبلين» يحاولان على الدوام أن يتسلقا شجرة المجد والشهرة والحضور......... الخ، من خلال هاتين القناتين الكريهتين.. دون أن يتيقنا ـ تمامًا ـ من أن للناس..

عقولًا يميّزون بها..

ومشاعر يُحسون بها.

** يجهل أو يتجاهل الواحد من أولئك مآلات ما صنعه من خطأ فادح، ويظن واهمًا بأن ما يُحوكه من ألاعيب في «عتمة الليل».. هو مما لا يمكن أن تفضحه شمس النهار.. لكن الضوء يفضحه، والعيون اليقظة تُعريه.

** ودائمًا وأبدًا تظل الحقيقة أكبر من كل حالات التضليل..

أكبر من كل محاولات الغش..

والتدليس..

طال الزمن أم قصر.

** ولذلك فلا يكون غريبًا أن يعيش أولئك ـ معظم أوقاتهم ـ في حالة نفسية سيئة.. نتيجة مقت المجتمع لهم.. ونفور الناس منهم!.

** ليت أولئك القوم يعرفون «طبيعة» المستنقع الذي يعيشون فيه.. ليعرفوا كم هو «ملوث» بهم.. ومعهم.

** ليتهم.. يتعاملون مع الحياة من حولهم بـ «وجهٍ» واحد..

ويغسلون أيديهم ـ وإلى الأبد ـ من..

لعبة «الوجهين».. والقفز على «الحبلين»!.

احتضانُ ـــ المواهب

** لكل إنسان قدرات، ومواهب، وإمكانات، وعطاءات.. تلك حقيقة.. لا تقبل كثير جدل!.

** من أجل ذلك فإن (إتاحة الفرصة) لهذا وذاك.. إنما هي استثمار لطاقات كانت معطلة.. كانت (مركونة على الرف) كما يقول المثل الدارج.

** لا يوجد مخلوق بدون طاقات..

بدون مواهب..

بدون قدرة على الإبداع..

لكن السؤال / التحدي هو: من الذي يستطيع أن يصل إلى كل صاحب موهبة.. ومن الذي يملك (حاسة خاصة) لمعرفة قدرات هذا.. وإمكانات ذاك؟.. وبالتالي دفع كل موهبة إلى المسلك الذي ينسجم مع قدراتها.

** ثمة من يعتقد أن المواهب قليلة.. أو شحيحة أو ـ عندما يكون متشائمًا ـ نادرة.

لكن الصحيح.. أن المواهب موجودة.. بل كثيرةٌ جدًا.. ولكن الفرق يكون دومًا في (نسبة الموهبة).. وفي نوعيتها.

** والحقيقة أن إتاحة الفرصة لكل موهبة، معناها فتحُ (باب العطاء) على مصراعيه.. لتنطلق تلك الموهبة من قمقمها إلى فضاءٍ رحب.. رحيب.. دونما قيودٍ أو عوائق.

** وفي المقابل.. فإن (إقامة المتاريس).. وقفل الاتجاهات.. أمام المواهب.. إنما يعني تحجيم انطلاقتها.. وتعطيل فرصة إبداعها.. بل ذبحها، ثم في نهاية المطاف حرمان الحياة من موهبة كان يمكن لها أن تكون شيئًا تحت الشمس.

** مؤلم حتى الثمالة أن تموت موهبةٌ بين جنبي صاحبها...

بسبب «شُللية» المجتمع..

وانتقائيته العشوائية الظالمة..

ومطارق «محسوبياته» المتفشية..

** كثيرون أُتيحت لهم الفرصة.. فرأينا حجم العطاء الذي قدموه.. ومقدار الاضافات التي زرعوها على صفحة الحياة.. عندما طفقوا ينثرون إبداعهم فعلًا إنسانيًا راقيًا..

ولولا إتاحة الفرصة لأولئك.. وفتح الباب واسعًا أمامهم.. لكانوا حتى الآن مجرد طاقات مهدرة.. وإمكانات معطلة.

** إن من يفتح بابًا أمام كل موهبة خلاقة.. لا يقل

(إنسانيًا)..

وحضاريًا..

وعمليًا..

عمّا تقدمه تلك الموهبة ـ نفسها ـ من عطاء.. لأنه بذلك (الفتح) قد أخذها من خلف مغاليقها.. ليدفعها نحو منطلق رحب.. مكّنها من خلاله من أن تقدم شيئًا، وأن تصنع إنجازًا.

** تحية ـ وألف تحية ـ لكل الذين يحترمون مبدأ (إتاحة الفرصة).. لكل الذين يُلغون العوائق من أمام كل موهبة.. لكل الذين يمنحون الجياد فرصة الركض في الميدان..

وقُبلةُ عرفانٍ على هامةِ كل.. من آمن بأن للأجيال الجديدة (حقًا مشروعًا) في..

حمل المشاعل.. وإيقاد الشموع..

في صنع الدهشة.. ومعانقة قوس قزح.

ترشيدُ العاطفة

** ثمة شعرة دقيقة تفصل بين «العقل».. و«العاطفة».. والذين لا يفتحون أعينهم بكامل استدارتها على هذه «الشعرة» ولا يقيمون لها وزنًا.. إنهم ينزلقون ـ في الغالب ـ إلى مزالق تورث كثيرًا من الندم.. والحسرة.

** إن تجاوز هذه «المسافة» الدقيقة بين العقل والعاطفة.. كفيل بخلط كل المسائل.. بحيث تظل العاطفة هي «سيدة الموقف» تحرك الاتجاهات.. وتقود التصرفات.. وتدفع الكثيرين إلى التخبط فوق طرقات الحياة.

** إن تحديد المرء «لموقفه» نحو قضية ما.. أو شأن ما من شؤون الحياة.. ينبغي أن يكون «مرتبطًا» بالعقل.. وبعبارة أخرى ينبغي أن يكون العقل هو «الأرضية» الصلبة التي تنطلق منها كل الأحكام.. والأعمال.. والتعاملات..

** لقد أخذت «العاطفة» أكثر مما يجب، وتجاوزت ـ عند الكثيرين ـ المساحات المخصصة لتحركاتها، وأجلسها البعض في «صدر المقعد».. من أجل ذلك فإنه

ينبغي أن نراجع حساباتنا، وأن نمارس حيالها شيئًا من «الترشيد».. بما يكفي لكبح اندفاعها المتسارع ذاك فوق صفحة حياتنا.

** البعض ومن خلال «العاطفة المجنونة» يقسو على أهله، وأولاده من خلال تعاطفه الجارف معهم في كل الأوقات، مما يورث محنة لهم، تُكلفهم سلب شخصياتهم، وانتزاع روح القرار الصحيح منهم، وتركهم مجرد «دمى» تخضع على الدوام لإشارات «ريموت كنترول» عاطفة الأب.

** إن من المؤسف أن ترى البعض..

عندما يشتري ويبيع..

عندما يحب ويكره..

عندما يختار صديقًا أو يرفضه..

عندما يُبدي رأيًا أوليًا في أي شأن..

يسارع إلى امتطاء «صهوة العاطفة».. والعجيب أنه يعترف لك بعد برهة أن تلك هي العاطفة ولم تكن رأيه العقلاني، ولا كامل قناعاته.

** من أجل ذلك يتعين على ذلك البعض، ألا ينسلخ تمامًا من «ثياب العاطفة»..

وأن يوازن بين العقل والعاطفة

في كل تعاملاته ومناهجه..

** إن تَمثّل العقل عنوانًا لكل التصرفات.. كفيلٌ بأن «يؤسس» موقفك.. ويكشف للآخرين ـ من حولك ـ عن..

صورتك الحقة..

منذ اللحظة الأولى.

طرائدُ تترنح

* كثيرون هم أولئك الذين يجدون أنفسهم، وقد صاروا طرائد تترنح في «مصيدة الحياة».. تجدهم وقد تحولوا إلى فرائس لأنياب الدهر.

* وليست مبالغة إذا قلنا بأن..أحدًا من البشر لم يفلت من.. «فم الحياة».. ولا من غول الزمن!.

* بل الواقع أن الناس ـ كل الناس ـ قد مروا بـ«كماشة» الزمن، فنالت منهم ما نالت، وعركتهم عرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِها، فمنهم من قضى نحبهُ ومنهم من ينتظر.

* ولهذا فإنه ليس جديدًا القول بأن لكل واحد منا..

همومه..

وقضاياه..

ومشكلاته

لدرجة أن البعض يتصور أن ما في «جعبته» من هموم، يفوق ما لدى الآخرين.

* من أجل ذلك فإن الإنسان ـ أي إنسان ـ يظل على الدوام يتطلع ـ بشغفٍ متنامٍ ـ إلى الدنوّ من «مخرج» لمعضلاته.

* فتجد الكثير من الناس ـ في غمرة وجعهم ـ يتلمسون..

مواطن «الحل»..

وطرق «النجاة»..

فهم يهرعون لهذا، ويهمسون لذاك، ويبوحون للثالث.

* لكنهم ـ بهذا ـ يقفزون فوق «الحل الأمثل».. يتجاوزونه، وينسون أو يتناسون ـ لا فرق ـ أن الحل هو في «المنهج الإسلامي» الذي كان وسيظل هو البلسم الحقيقي، وعن طريقه يمكن الوصول إلى لُبّ القضية، وإيجاد المخرج الصحيح لها.

* إن من يتصرف وفق المنهج الإسلامي، ويطبقه على نفسه أولًا، ثم على غيره، فإن كل معضلات الحياة «المعقدة» ستجد الحل «فورًا».

* إن المنهج الإسلامي بكل آفاقه الجميلة، يظل هو

«المخرج الوحيد» لكل معضلات الزمن وأوجاعه، وبدون الاحتكام لهذا المنهج، سيظل أولئك وهؤلاء..

يراوحون في أماكنهم..

يتحركون وسط دائرة مغلقة..

لأنه لا الفلسفات المعاصرة، ولا الأيديولوجيات المستوردة، ولا الحلول البراقة، قادرة على زرع القناديل المضيئة بالحياة الحقة أمام الانسانية، لا يمكنُ لكل تلك أن ترقى إلى مرتبة الحل الإسلامي لقضايا الزمن.

أجملُ رفيق

** عندما تزداد الفجوة بين الحلم والواقع.. تتعثر كل الأشياء الجميلة، تموت في مهدها.. وتتقلص كل التطلعات لتصبح مجرد خطوتين إحداهما إلى الأمام، والأخرى إلى الخلف.

** الحلمُ.. تفاعلٌ ينبض بالحياة وبالضياء.. هو انطلاقة تتجاوز كل المسافات، لتضع عند خطوط النهاية انتصارات مدوية ومتلاحقة.

** الحلمُ.. جوادٌ أصيل..

يركض دومًا..

يتألق..

ويسافر عبر المحيطات، حاملًا فوق هامته أكاليل الفرح.. ورايات الفخار.

* السيفُ.. يصبحُ حلمًا عندما يتجرد من تابوته المظلم.. ويعانق الشمس في وضح الزمان.

** المركبُ البحري.. حين ينكسرُ شراعه..

ويلفه البحرُ الغاضب..

يتحول إلى حلم، تترقب إطلالته كل الشواطئ الظمأى.

** طلوع الصبح كل يوم.. فيه تأكيد بأن حلمًا جديدًا قد بدأ ينمو في شوارع الحياة.. يملؤها نضارة وألقًا.

** ولأن الحلم ليس بضاعة، فإن أي محاولة رعناء..

لابتياعه..

أو تسويقه..

هي محاولة محكوم عليها بالفشل..

كما أن التفتيش عن الحلم عند بائعي الأرصفة، أو تجار «السوبر ماركت» مؤشر على ظهور مرض فقر الدم.

** إن أجمل رحلة..

هي تلك التي تصطحب معك فيها..

شخصًا واحدًا فقط..

اسمه... الحلم!.

ركلُ الأصالة

** يبدو أن درجة الترنح التي بلغها هذا العصر قد بلغت حدًا لا يطاق!..

حدًا اختلفت فيه مقاييس الأشياء..

تلاشت منه اعتبارات المنطق..

وتحولت الفهوم فيه إلى (مقايضات) مادية متبادلة.. تمامًا كما هي حالة العرض.. والطلب في سوق الحراج!.

** درجة الترنح هذه.. أدت إلى إفراز جملة من التعاملات الجديدة، التي تقوم في معظمها ليس على نسيان الماضي العابق بالأصالة والشذا وحسب، وإنما بدوافع تحمل صبغة الإصرار على جحود الماضي برمته، وركله بالأقدام كما يفعل اللاعبون بكرة القدم.

** أولئك للأسف يتعاطون في شغف لعبة امتطاء الموجة الجديدة ـ أيًا كان الجديد ـ من غير هدى وتمييز وفرز، وضمن مفاهيم ضيقة، يوشحها شوق غريب إلى

العبور نحو بوابة «المعاصرة» كما لو كانت هدفًا في ذاتها.

** مستوى الترنح هذا.. جعل كل الصور..

مقلوبة..

باهتة..

ومنسلخة من جوهرها، و«فلزات» معدنها، وقيمتها الأصلية..

من أجل ذاك لم يعد مدهشًا أن يدعي (الأقزام).. و(الطفيليون) مقدرتهم على عرض العضلات.. وعلى اعتلاء قمم الجبال الشامخات، في صور هزيلة تدعو للرثاء، والضحك في آن.

** والواقع أنه وسط حالة الترنح هذه نسي البعض أن جدران المحيط الذي يحتويه، يعتمد في معظمه على مواد هشة قابلة للسقوط والكسر.. تمامًا مثل الزجاج.. وفي غمرة هذا النسيان تجد أولئك البعض يقذفون الآخرين بالحجارة.. والأدوات الصلبة في مواقف ـ هي بالتأكيد ـ عناوين صارخة توحي..

بالبلاهة..

والسذاجة..

وتقزم الفكر.. وضحالة الرأي والرؤية.

** لقد جرى العرف، ودرجت المفاهيم الحضارية، على تكريس تعاملات إنسانية كان ينبغي ألا تبتلعها موجة العصر.. هذه التعاملات تبدأ من..

خطوة الاحترام المتبادل..

وتقدير مشاعر الناس..

والاجتهاد في خلق قنوات من التواصل الحميم..

ذاك الذي يرمي إلى إنتاج محصول وفير من الخِلال الثرة، التي تشبع النفوس، وتملؤها طمأنينة ورضا.

** غير أن بيننا ومعنا ـ وكما يبدو ـ من لفظ كل تلك المفاهيم، ووطئها بقدميه.. وشمر عن ساعد الجحود لها وحيالها، في مواقف مخجلة لا يفترض فيها التنكر فضلًا عن تشمير الساعد..

ولكن الأحمق، ومن أعماه بريق «التبعية» المطلقة، والارتماء في أحضان الآخر أيًا كانت بضاعة ذلك الآخر.. لا يُنتظرُ منه غير هذا الإفلاس والهذيان.

كن الفعل..
لا ردة الفعل؟

أحيانًا تسأل نفسك..

لماذا يتعامل معك الآخرون بسلوك لم تكن تتوقعه.

للوهلة الأولى.. تذهب إلى تفسير ذلك السلوك، على أنه اتجاه مفاجئ لم يكن في الحسبان.. لكنك حينما تعرف أن التفسير يتأثر بما تفكر، وبسلوكك الشخصي، تدرك حينذاك حجم التباين بين ما اعتقدته أنت من تفسير، وبين ما كان ينبغي أن يكون عليه التفسير الدقيق.

وليس غريبًا أن تلجأ في حالات معينة إلى لوم الآخرين.. مثل أن تندب سوء سلوكهم.. وأنه لم يعد هناك صداقات.. وأن المصلحة صارت صيغة التعامل الأوحد للجميع.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

تذهب مبكرًا إلى عملك فتجد زميلك عابس الوجه.. تُلقي عليه التحية.. فيردها متجهمًا دون أن يبتسم لك.. وحتى «الفرّاش» تشعر أنه لم يعد بشوشًا يُبادرك كالعادة

بفنجان القهوة.. وأن رئيسك لم يعد يبتسم لك، كما كان في أول يوم بدأت فيه العمل بإدارته.

هنا.. قد تكون أول ردة فعل في داخلك هي شيء من الغضب من أولئك.. وقد يتبعها ركونك إلى حالة إحباط من نوع ما.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

لكن علماء النفس في مثل هذه الحالة ينصحونك، بألا تكون ردة الفعل عندك مشابهة لحالات السلوك التي التقيتها قبل قليل.. وإلا فإن خللًا ما لا بد أن يكون مصاحبًا لسلوكياتك أنت.

عليك أن تفهم أن أولئك الذين التقيتهم بهذه الصورة، هم أولًا..

«إنسان»..

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

وذلك الإنسان يتعرض لمواقف حياتية شتى، فقد يكون الواحد منهم لا يزال تحت مؤثرات حالة نفسية سيئة، سببها زوجته أو أطفاله، أو عوارض في الطريق..

أنت في الواقع بحاجة دائمًا إلى أن تتفهم الآخرين.

ليس من خلال الملامح، ولا من خلال الأحكام السريعة التي تأتي ردود فعل مبكرة.

إنك لو ابتسمت لهذا وذاك.. ولو أصدقت زميلك وصديقك القول والمحبة، لوجدت منه سلوكًا إيجابيًا..

ربما أكبر وأعظم مما كنت تتوقع.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

عليك إذن أن لا تتصرف من خلال «ردة الفعل»؟..

بل حاول دائمًا أن تكون «الفعل» نفسه..

هكذا تقول قواعد علم النفس..

ولا بأس أن تترك للآخرين «ردة الفعل»!.

ليست دعوة ـــ للجنون

** ذات مرة.. قال أحدهم: «أهل العقول في راحة»!!.. قالها - ومضى في حال سبيله..

** ذلك الإنسان الطيب، المتفائل.. انطلق في مقولته تلك من «نافذة وديعة»..

تطل على «بيئة» أكثر وداعة، وصفاء!.

** وتكُرّ «مسبحة الأيام» تتساقط واحدة تلو الأخرى.. تمضي أزمنة، وتأتي أخرى.. لتصبح تلك المقولة مجرد «شيء على الرف»!.

** كأني بهذه «المقولة ـ المثل» وقد تلاشت ملامحها النضرة.. ومعالمها الندية.. وتحولت إلى «هيكل عظمي».

** فأهل العقول ـ اليوم ـ في عناء ما بعده عناء..

إنهم...

الأكثر شقاء..

والأكبر تعبًا..

و الأوفر «قرفًا»!.

** ما أبثه ـ هنا ـ ليس دعوة للإمساك بمنطق «الجنون» في التعاملات.. ولكنه مجرد إطلالة «شفقة» على هذه «المقولة ـ المثل»!!.

** فالذين «يرتكزون» على عقولهم في كل مجريات الواقع المعيش اليوم، هم مجموعة من الكتاب، والمفكرين.. وأهل الثقافة، والمعرفة، وقوافل المبحرين في آفاق التفكير والعلم، والتأمل!.

** من أجل ذلك، فإن هؤلاء هم الأكثر تعبًا، وعذابًا.. هم الأكثر أرقًا، واستهلاكًا لطاقات الذهن.. وربما الأكثر عرضة لأمراض العصر وعذاباته.

** إذن.. هل أهل «العقول» في راحة؟!.

إنني أشك في مصداقية هذه «المقولة ـ المثل» في خضم هذا العصر.. وحيال ما نراه من معاناة تثقل كاهل هؤلاء الذين نشير إليهم دائمًا بأصابعنا، كلما قرأنا لهم، أو رأيناهم، بأنهم ـ أصحاب «العقول».

** وحتى لا يُساء الفهم.. نقول مرة أخرى..

ليس القصد هو التعامل «بالجنون»..

ولكن بعبارة أخرى.. فإن «أهل العقول» في «قرفٍ ـ ما بعده قرف»!.

أزمةُ صراحة!!

* صحيح أنه من بين المستحيلات أن تجد إنسانًا يحدثك عن نفسه (بصراحة) فيقول لك في حالة اعتراف نادرة ـ مثلًا :

ـ إن مشكلتي أنني غبي!

ـ أو يقول:

ـ إن عيبي ـ أنني حشري.. أو طفيلي!

* ومادام الأمر كذلك.. فإن إنسان اليوم يظل مطاردًا بما يمكن أن نسميه بـ«أزمة صراحة»!.. حيث المكابرة والجحود لجانب من حقيقة ذاته.

* المسألة لهذا الحد يمكن «ابتلاعها»، وهضمها، رغم ما تحمله من تقريع مؤلم لـ«المسكينة ـ الصراحة».

* نقول.. يمكن قبول كل ذلك قياسًا بالحالة الجديدة.. التي صارت الشغل الشاغل لقطاع عريض من

جيل اليوم.. أولئك الذين صار جلّ همهم هو الحديث عن «ذواتهم» بأسلوب يبعث على التقزز.. والغثيان!.

* أولئك «النرجسيون» لا عمل للكثير منهم ـ فيما يبدو ـ غير تلميع أنفسهم بكل ما يلقونه من (أصباغ.. ودهانات) ظنًّا منهم أن مثل هذه الممارسات تلقى رواجًا في حضرة المتلقين.

* فالواحد من أولئك يقتحم حوار الجلسة ـ أي جلسة ـ ويظل بالساعات يتحدث من دون ملل أو تراجع..

عن نفسه..

عن تجاربه..

عن قدراته..

وبالطبع هو يغلف كل حكاياته تلك بابتسامات ساذجة يظن أنها «تنطلي» على الجالسين.

* مطلوب.. والحالة هكذا.. أن يعرف كلّ واحدٍ من أولئك حجمه بدقة.. بحيث لا يذهب به الشطط إلى متاهات «السقوط»..

السقوط من أعين الحاضرين، من خلال تمجيد النفس، وتضخيم الأنا، ونفخ بالونات لا لزوم لها.

* إن فرقًا كبيرًا في الفائدة التي يمكن أن تعود على المجلس، على الجالسين، على مجموع المنصتين.. نقول ثمة فرقٌ كبيرٌ....

بين أن يسمع الناس «سيرة ذاتية» هشة..

وبين أن يسمعوا، ويستمتعوا..

بـ«تجربةٍ غنية».. حافلةٍ بمواقف عظيمة.

إرضاءُ الناس
غير ممكن

** أحدهم قال ذات مرة:

إن (إرضاء الناسِ غايةٌ لا تدرك).

هذه المقولة أصبحت فيما بعد مثلًا دارجًا.. وقولًا يتردد على ألسنة الناس.

** والمؤكد أن ذلك الـ (أحدهم) عندما قال (مقولته) تلك.. لم يطلقها من فراغ.. وإنما قالها بعد عراكٍ طويلٍ مع الحياة.. وبعد مخالطةٍ واسعةٍ وطويلة للناس، على اختلاف مشاربهم، وأمزجتهم، وطباعهم!.

** ولك أن تتأمل هذه (المقولة).. كيف تجذرت في الأذهان.. واتفقت إلى حد بعيد مع واقع الأشياء.. رغم أنها انطلقت منذ زمن بعيد.. يوم لم تكن الحياة معقدة بالشكل الذي نراه ـ اليوم.

** إن الذي أعتقد أنه صوابٌ، أن كثيرين قد يوافقون ويتفقون على أن شيئًا كبيرًا من الصدق، والصحة، يتمثل بل يتجسد في هذا «المثل / الحكمة».

** البعض قد يذهب به الفهم بعيدًا.. فيعتقد أن عملية (الإرضاء) طبقًا لهذا المثل.. أصبحت مستحيلة.. حتى في نطاق العدد القليل من الناس.

** لكنني أعتقد خلاف ذلك.. فما أراه أن هذا المثل يحمل في طياته زخمًا كبيرًا من «الديمقراطية».. والسبب أن...

اختلاف الآراء مطلوب..

وتباين وجهات النظر علامة صحة..

وكلاهما.. أمران واردان.. ولكن......

** يظل المطلوب ـ والحالة هكذا ـ محاولة السعي لتحقيق مطلب ورغبة (الرضا) لدى الغالبية.. ولا بأس من أن يكون (القليلون) في حالة (عدم الرضا)!.

** أنت مثلًا ـ في بيتك ـ لا يمكن أن تظفر بتصويت جماعي من جميع أهلك على (قرار ما).. بحكم إن منْ في البيت.. حتى ولو كانت أسرة صغيرة.. هم مجموعة..

قناعات متنوعة..

وآراء متباينة..

وأمزجة مختلفة.

** ولكن.. ومن خلال (فرز الأصوات).. ومعرفة مجمل الآراء.. سيكون هناك حتمًا (غالبية).. وتلك الغالبية ـ بالطبع ـ هي التي يجب أن تحكم توجّه القرار.. وبالتالي تنفيذه.

ويظل من المهم أن يحترم الآخرون (عملية التصويت).. ورأي الغالبية.. لتنشأ حينها ثقافة جديدة ترسخُ سلوكًا حياتيًا جميلًا، هو احترام رأي الأغلبية.

** ما أريد قوله ـ بالضبط ـ هو.. إن إرضاء الناس ـ كل الناس ـ .. إجراءٌ مستحيل.. وعمل غير ممكن.. وأمام هذا (الواقع الحياتي) الذي لا مفر منه، يجب ألا نذعن له، وندعه مبررًا للتقاعس والانكفاء، بحيث يصبح باعثًا للإحباط والتراجع..

يجب علينا أن نعمل، ولا بد لنا من الإقدام والفعل تحت مظلة (رأي الغالبية)..

وهذا ممكن.. بل بسهولة!.

الوفاءُ.. ما زال حيًّا

* رغم كل الذي يقوله ويعتقده المتشائمون.. فمازال لـ (الوفاء) أهله وعشيرته.. مازال له عشاقه ومريدوه.. أولئك الذين جعلوه عنوانًا لتوجهاتهم.. ومنطلقًا لنهجهم الحياتي.

* فما زال بيننا ومعنا من يقاتل من أجل أن يظل لـ (الوفاء) حضوره، وتوجهه، وفعله الحيوي على الأرض.

* ومع كل تقلبات الزمن، وانحناءاته.. يظل (الأوفياء) في مقدمة الصفوف.. يحتضنون هذا المنهج النبيل، وهذه الخصلة الحميدة، ويضعون لها مكانًا فوق هاماتهم.. لتكون تاجًا يتلامع بالبريق..

ويزخر ـ بقدرٍ هائلٍ ـ من المعاني الإنسانية الجميلة.

* ينبغي والحالة هكذا.. أن يظل (غير الأوفياء) في ركن منزوٍ عن تفاعلات هذه الحياة.. ويكفيهم ـ عقابًا ـ أن يظلوا نهبًا..

للقلق الذاتي..

والوجع الداخلي..

وعذابات النفس الدائمة.. تلك التي تنطلق من دواخلهم المعتمة، والمتخمة بالتنكر والجحود!.

* إن (الوفاء) بكل زخمه ومعطياته.. وبكل أعبائه ومسؤولياته.. إنما هو حملٌ ثقيلٌ لا يقدر عليه غير أولئك الذين وصلوا إلى مرحلة متقدمة من النضج الإنساني.. وصار في مقدورهم أن يفسحوا ـ للوفاء ـ أماكن رحبة في أفئدتهم.. تستطيع أن..

تتحمل كل أثقاله..

وتستثمر كل معطياته.

* وعليك ألا تقنط ولا تبتئس حتى ونحن نعيش عالمًا ماديًا مصلحيًا، وكن مطمئنًا لأنك ستجد الكثيرين يقابلون الجحود بالعفو المقرون بالعطاء الموصول.. والتنكر بالمعروف، بل ستصافح عيناك جمهرة من الأسوياء، أولئك الذين ما فتئوا يقدمون (أكف الوفاء) عربونًا جديدًا لصفحة أخرى من العلاقات الحميمة.

* أولئك هم الذين لا يريدون لنهر الحياة أن ينحرف عن مجراه الطبيعي.. ولا يريدون لفتيل الزمن أن يحرق كل

الأشياء الجميلة.. ولا يريدون للصغائر أن تطفو على السطح.. لتصبح دمامل تشوه وجه الحياة.. وتحولها إلى لوحة قبيحة.

* أولئك - وحدهم - يستحقون..

أن نتمثلهم..

نماذج إنسانية - رائعة.

الحسمُ.. والتردد

** ثمة شعرة دقيقة تفصل ما بين «الحسم» و«التردد»..

والذين يغفلون هذه الشعرة، ولا يقيسون حجمها بدقة.. يجدون أنفسهم ـ تلقائيًا ـ أمام مواقف لا يحسدون عليها.

** إن للتردد علاقة وثيقة بـ «نقص الثقة» بالذات.. ولذلك فإن «المترددين» يعانون ـ في الغالب ـ تناقصًا واضحًا في معدلات البناء النفسي السليم!.

** أحد خبراء علم النفس، ينصح «المتردد» بأن يعمد إلى مراجعة حساباته مع نفسه أولًا، قبل مواجهة المواقف الحياتية المختلفة، تلك التي يعج بها مسرح الحياة، ثم مع الآخرين من حوله بعد ذلك!.

** لا بد للمتردد أن يبني ثقة النفس تلك «طوبة طوبة».. ولا بأس من اللجوء إلى منهج «النَفَس الطويل» لكي يتطاول البنيان، وتسمو أركانه على ما حوله، لترتقي إلى فضاءات عالية.

** وما دام الأمر كذلك، فإن «الإصرار» والتحدي يظلان عنصرين رئيسيين في إتمام بناء هيكل قوي داخل الذات، يصبح في نهاية المطاف، ثقة «واعية» بالنفس، تكون قادرة على «الحسم».. ومن ثم النفاذ إلى بوابات الصواب!.

** إن الذين يستسلمون «للتردد» ويعيشون فوق طرقاته دهرًا، إنما هم أناس «جامدون» لم يستفيدوا من دروس الأيام، ولم تستطع هي أن تدفعهم - ولو مرة واحدة - إلى مراجعة الذات، ومحاسبتها!.

المؤلف في سطور

- بخيت بن محمد آل طالع الزهراني.
- من مواليد الأطاولة بمنطقة الباحة جنوب السعودية.
- حاصل على بكالوريوس الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز.

صدر له:

- **(رؤية.. من شارع الصحافة)** مجموعة مقالات صحفية اجتماعية تربوية.
- **(إندونيسيا.. مشاهدات سائح)** كتاب في أدب الرحلات.
- **(حفلة الجن)** مجموعة قصصية، صدرت عن نادي الباحة الأدبي.
- له تحت الطبع (تسونامي جدة.. شاهدٌ من قلب الحدث).
- وله تحت الطبع أيضًا (لمن يهمه الأمر) مجموعة مقالات وطنية وتربوية.

عندما رأيتها لأول مرة ، تتوشح فستانها الزاهي المبهرج

كأميرة غجرية تنثرُ جدايلها تحت ضوء القمر ..

شدتني ملامحها ..

وهالني مشهدها ..

فقد بدت عروساً فاتنة ، كأنما تعيشُ شهر العسل ..

تفيض بريقاً .. وتشع ضياءً ..

كأنما أخذت حيويتها وإشراقها من منابع الشمس ..

سمعت عنها من قبل ، ولكنني لم أرها إلا هذه المرة ..

إنها أكثر وأكبر من وصفهم لها ..

عيناها بريقٌ ملتهب

كمعبدٍ يعبق بالبخور ..

وعلى وجهها مساحيق ملونة .. وأضواء نيون صاخبة ! .

لم أكن أعرف أن تحت تلك الملابس البراقة .. والصور المتداخلة

جسداً غامضاً يحمل الحقيقة المرّة ..

بكل عُقدها ..

وتشوهاتها ..

وقسوتها ..

وعُنفها !.



